

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université Aïn Témouchent Belhadj Bouchaïb

Faculté des Lettres, Langues et Sciences Sociales

Département de Langue et Littérature Arabes



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي

رقم المذكرة: 21/ 2026

مذكرة مقدمة لاستكمال المتطلبات لنيل شهادة الماستر
الميدان: اللغة والأدب العربي
الشعبة: الدراسات النقدية
التخصص: نقد حديث ومعاصر
عنوان المذكرة

عبد الملك مرتاض والمناهج النقدية

—دراسة وصفية تحليلية—

إشراف: بن زيان خالد

إعداد الطالبة: نوار نادية

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
بوخاتم مولاي علي	أستاذ التعليم العالي	جامعة عين تموشنت	رئيسا
بن زيان خالد	أستاذ محاضر أ	جامعة عين تموشنت	مشرفا ، ومقررا
ماكني محمد الأمين	أستاذ محاضر أ	جامعة عين تموشنت	ممتحنا

السنة الجامعية: 1446هـ-1447هـ / 2025-2026

تأشيرة رئيس القسم
أ.د. بوسفاوي
رئيس قسم اللغة
بجامعة عين شمس

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de L'enseignement Supérieur et de La
Recherche Scientifique

Université Belhadj Bouchaib - Ain Témouchent

Faculté des Lettres, Langues et Sciences Social

Departement Lettre et Langues arab



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عين تموشنت بلحاج بوشعيب

كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي

التصريح الشرفي

الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لانجاز بحث

(ملحق القرار الوزاري رقم 1082 المؤرخ 27 ديسمبر 2020 الذي يحدد القواعد المتعلقة بالوقاية من السرقة العلمية ومكافحتها)

أنا الممضي أسفله.

اسم ولقب الطالب(ة)	التخصص	رقم بطاقة التعريف الوطنية	تاريخ الاصدار
شوارب دية	شعر ودراسات نقدية	119831463001880003	2018/12/05

المسجل (ة) بكلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية

قسم اللغة والأدب العربي، الشعبة: اللغة والأدب، التخصص: الدراسات النقدية

والمكلف (ة) بإنجاز مذكرة ماستر، عنوانها:

عبد الملك مرتاحيا - دراسة وصفية

تدليلية

أصرح بشرفي أنني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية المطلوبة في
انجاز البحث المذكور أعلاه.

عين تموشنت في:



توقيع المعني (ة)

اللَّهُمَّ
الْحَمْدُ لِلَّهِ



إهداء

أهدي هذا العمل:

إلى عائلتي

إلى أختي

إلى صديقتي

إلى الليالي التي سهرتها حتى
يكتمل هذا البحث



شكر وعرفان

إلى الذي أشرف على بحثي،

وعلم مشقتي في إنجاز هذا العمل

إلى الذي وضع خطة بحثٍ يسومها الذكاء،

وإلى الذي صبر عليّ وأيقن بي،

إلى الأستاذ خالد بن زيان،

جزاك الله خيراً،

كلّ الشكر والتقدير والامتنان لمن ساندني ولو

بدعاء.

مقدمة

الحمد لله ذي النعم، وسبحان المتّان، ذي التّون والقلم، وصلىّ اللهم على سيّدنا محمّد وعلى آله أفضل التّسليم، أمّا بعد:

تعدّ المناهج النّقديّة سجلّ النّصوص المفتوح بتنوّعه، ذلك أنّها وسائل لتحليلها وتقريب لفهمها، وأنّ القراءة الكتاب المفتوح عليها، ولذا جاءت دراستي بعنوان: «عبد الملك مرتاض والمناهج النّقديّة - دراسة وصفية تحليلية-».

إنّ من أسباب اختياري لهذا الموضوع أسباب مباشرة وسبب غير مباشر، فالمباشرة اثنتان:

- توجّهي للنقد الأدبي كتخصّص لأوّل مرّة، وكان ذلك لفترة وجيزة.

- معرفة المناهج النّقديّة كونها تحلل النصوص.

أمّا السبب الغير مباشر فيكمن في سبب لا شعوري، هو:

- سماعي لأوّل مرّة اسم عبد الملك مرتاض من طرف أستاذ، وهو يتكلم عنه بإسهاب كبير، وأنا في الواقع لم أكن أودّ الإنصات له، إلى أن أتمّ الله ميقاته بسنوات، فَقَدَر لي دراسته، فكان أمرًا ذلك محتومًا وحكمًا نافذًا في بحثي له، وفتح الله دراستي، فَمِلْتُ له فكرًا، ونَدِمْتُ له سَبَقًا في عَدَمِ التَّعَرُّفِ عليه، ولم أعلم أنّ القَدَرَ ينتظرنى مع مرتاضٍ حتّى بعد الدّراسات اللّغوية، وأنّ كلام الأستاذ كان مُدَبَّرًا بِأَمْرِ الإله، وأنّ الخبر قد جَفَّ بِأَزَلٍ.

وأما عن الدّراسات التي سبقتني في المناهج النّقديّة لعبد الملك مرتاض، فهي كثيرة، أدكُرُ منها:

- المنهج النّقدي عند عبد الملك مرتاض: مذكرة مُقدّمةٌ لِنَيْلِ شهادة ماجستير في الأدب واللّغة العربيّة، من إعداد : قادري أقويدر، تخصّص: النّقد الأدبي المعاصر، قسم اللّغة العربيّة، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان .

- تحديد المنهج في كتابات عبد الملك مرتاض النّقديّة: مذكرة مُقدّمةٌ لِنَيْلِ شهادة الدّكتوراه، من إعداد: عبد الله مخطاري، تخصّص: النّقد والمناهج، من كلّية الآداب والفنون، بقسم الأدب العربي جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف .

الحقيقة أن كل من سبقني أفاض قلمه في دراسة المناهج لعبد الملك مرتاض، غير أنني قابلت نوعاً ما النقد بالقراءة، محاولة الوصول إلى مسعى مرتاض نفسه.

أما عن الإشكالية فكانت كالتالي:

كيف تشكّل الحضور النقدي والمنهجي في فكر عبد الملك مرتاض وما موقفه من ثنائيات التراث والغرب، وكيف تجسّد تمثله للمناهج الحديثة في مُنجزه بين النظرية والتطبيق؟

حاولت حلّ هذه الإشكالية وفق خطة مكوّنة من مقدمة، ومدخل تمهيدي، وفصلين: الفصل الأول كان نظرياً، والثاني تطبيقياً، ثم خاتمة.

أما الفصل الأول فجاء بعنوان: الحضور النقدي والمنهجي في القراءة المرتاضية، وعن الفصل الثاني فكان في المناهج النقدية في أعمال عبد الملك مرتاض.

نوع المنهج الذي اعتمدته هو: المنهج الوصفي والتحليلي خاصة.

ومن الصعوبات التي واجهتني:

قلّة المراجع لعبد الملك مرتاض، وصعوبة نيلها، وحتى إذا ما تمّ ذلك صعبت عليّ القراءة من حيث عامل الوقت وتقسيمه بين الليل والنهار خاصة وظروف العمل، وأما عن ذكر المراجع اعتمدت على مؤلّفه: «نظرية النقد» أساساً في دراستي، وفي الأخير لا أملك إلا أن أثني على الكريم الذي إذا دُعِيَ به استجاب، والذي وفّقني لبلوغ مسعاه، وقدره الذي حافّه لي، وذلك بقاء عالم ناقد كعبد الملك مرتاض الذي انتقد التقليد الأعمى للغرب، فأنقذ اللغة العربية لغيرته عليها.

نوار نادية

عين تموشنت

2026/08/13

المدخل التمهيدي

1. عبد الملك مرتاض ناقدًا

1.1 ولادته ونشأته العلمية

2.1 مؤلفاته وآثاره العلمية ووفاته

2. المناهج النقدية

1.2 تعريف المنهج لغة واصطلاحًا

2.2 تعريف النّقد لغة واصطلاحًا

3.2 مفهوم المناهج النقدية وأنواعها

1. عبد الملك مرتاض ناقدًا

يعتبر عبد الملك مرتاض أبرز الكُتّاب الذين عرفتْهم الجزائر في مرحلة ما بعد الاستقلال، حيث يُعدُّ من فحول الأدب والنقد امتدادًا من الوطن الى العالم العربي، فلم يترك مجالًا إلّا و حلّله بفكره الثاقب، فهو موسوعة علميّة في شتّى ميادين المعرفة، جمع بين الأصالة والعصرية، شغّل النَّاسَ بعلمه الجمّ وحُلُقِهِ الكريم، فصار محلّ احترام الباحثين وصَرَخَ النِّقَادِ أنفسهم.

1.1 ولادته ونشأته العلمية :

(أ) ولادته:

ولد عبد الملك مرتاض بن عبد القادر بن أحمد بن محمّد بن أبي طالب، وابن زينب بنت أحمد بن عمرو سُؤالي (وأصلُهَا: سُؤالي). في العاشر يناير 1935م، ببلدة مسيردة «ولاية تلمسان» الكائنة بالغرب الجزائري، من أب وأم جزائريين.

(ب) نشأته العلميّة:

حفظ القرآن الكريم في كُتّاب والده الذي كان فقيه القرية، ثم تعلّم على يديه مبادئ الفقه والنحو وحفظ ألفية بن مالك ومختصر خليل والمرشد المعين لابن عاشر¹.

كان عبد الملك مرتاض يخلو للقراءة بعد فتح الصندوق في غياب الأب ليطالع ويعيد مطالعة «سيرة فيروز شاه»²، بعد أن ألّم بالعلوم التقليديّة بقرية مجيعة³ إلّتحَقَ في أكتوبر من عام 1954 م بمعهد بن باديس بقسنطينة ثم بجامعة القرويين بفاس (المغرب) في شهر أكتوبر من عام 1955م، وقَطَنَ بالمدرسة البوعنانية، (الواقعة بفاس) والتي أُصِيبَ فيها بمرض السُّلِّ، فنُقِلَ إلى مستشفى حي فاس الجديد

¹ محمد سيف الإسلام بوفلاحة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، دار الجنان للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2018، ص103.

² المرجع السابق ص 10 ويوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، دارالبشائر والاتصال 2002م، ص 129.

³ عبد الملك مرتاض الحفر في تجاعيد الذاكرة، دار الغرب للنشر والتوزيع ص 51.

(دار الدبيغ)، وظلَّ يعالج قرابةً عام كامل¹، لم يُؤثِّر مرض السُّلِّ على دراسته، فَحَضَّرَ بِكَيْفِيَّةٍ حُرَّةٍ لشهادة الثانوية التي نالها من المعهد العالي بتطوان (المغرب)، فما كان له إِلَّا عَظِيمُ السَّرور لِيَلْجَ إلى جامعة الرباط (المغرب) فيلتحق بكلية الآداب من عام 1960م، وَبِنَفْسِ السَّنةِ تَسَجَّلَ بِكَلِّيَّةِ الحقوق والعلوم السياسيَّة، معهد العلوم الاجتماعيَّة بجامعة الرباط، وبعام 1961م إلتحق بالمدرسة العليا للأساتذة بنفس المدينة (الرباط)².

كانت أطروحته حول موضوع «فنون النثر في الجزائر» بإشراف الدكتور عبَّاس الجرَّاري عام 1931-1954م غير أنه لم يتمَّها لتوتّر العلاقات بين البلدين الشقيقين³.

عَيَّنَ أستاذًا بثانوية مولاي يوسف بالرباط، ولكنه اعتذر والتحق بالجزائر، ليعين مستشارًا تربويًا بمدينة وهران، وظلَّ كذلك زهاء شهرين فقط، ليلتحق بثانوية ابن باديس (وهران) حيث ظلَّ أستاذًا ثانويًّا حتى سنة 1970، وفي 07 مارس 1970 أحرز شهادة دكتوراه الحلقة الثالثة (الماجستير) من كلية الآداب بجامعة الجزائر عن بحث بعنوان "فنّ المقامات في الأدب العربي" بإشراف الدكتور إحسان النص، وفي شهر سبتمبر من السنة نفسها عيّن رئيسًا لدائرة اللغة وآدابها، ثم مديرا للمعهد سنة 1974م⁴.

شدَّ عبد الملك مرتاض الرحال الى جامعة السَّربُّون بباريس عام 1983 م ليكمل ما بدأ في الرباط أطروحته السابقة "فنون النثر الأدبي في الجزائر"، إذ أشرف عليها المستشرق الفرنسي أندري ميكايل [André Mikaël] الذي أمدّه بكتب نقدية فرنسية طالبا منه أن لا يبدأ في البحث إِلَّا إذا قرأ عن الجيرداس جوليان غريماس [Algirdas Julien Greimas]، تزفيتان تودوروف [Tzvetan Todorov]، جيرار جينات [Gérard Rinaldi]، كلود ليفي ستراوس [Claude Lévi-Strauss]،

¹ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، دار الجنان للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2018، ص103.

² المرجع نفسه ص 10 وعبد الملك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص51

³ عبد الملك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، ص 178.

⁴ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، دار البشائر للنشر والاتصال 2002م، ص 130.

رولاند بارت [Roland Barthes]، ثم أن ينتهج بالمنهج الذي يشاء وبعد زهاء سبع سنوات من البحث المتواصل الشاق تمت المناقشة، وأعلن عنها في جريدة. "لومند" [Le Monde] الباريسية برئاسة الأستاذ محمد أركون، وعضوية أربعة آخرين من الأساتذة المعربين والفرونكوفيين منهم أستاذه ميكائيل [Andrei Mikhaïl]، فكان ذاك اليوم أسعد يوم بحياته، غير أنه لم يجد من يشاركه تلك النشوى فاحتسى وحده العصير، إذ كان حلمه مستوفى من ابتدائية الدراسة في الخريش إلى انتهائه منها بالسربون¹.

تقلّد عبد الملك مرتاض عدة مناصب، ففي عام 1975 أُنْتُخِبَ رئيساً لفرع اتحاد الكتاب الجزائريين لولايات الغرب الجزائري، حيث كان المنصب مستحدثاً ثم عين نائباً لمدير جامعة وهران (1980-1983) وانتخب عام 1981 عضواً في الهيئة المديرة لاتحاد الكتاب الجزائريين وفاز بأغلبية أصوات الكتاب في مؤتمرهم العام.

- عين مديراً للثقافة والإعلام لولاية وهران في (1983-1986م).
- نال شهادة تقدير من رئيس الجمهورية الجزائرية عام 1987.²
- أُنْتُخِبَ أميناً وطنياً مكلفاً بشؤون الكتاب الجزائريين (1984-1989).
- ترأس مؤتمر الكتاب الصحفيين المترجمين الجزائريين بقصر الأمم بالجزائر عام 1984.
- أختير لرأس مؤتمر اتحاد الكتاب الجزائريين بقاعة الموقار بالجزائر سنة 2001م.
- عين رئيساً للمجلس العلمي بمعهد اللغة العربية وآدابها، في جامعة وهران (1989-1998) رقي إلى درجة أستاذ التعليم العالي عام 1986، عين عضواً بهيئة التحرير، ثم عضواً في الهيئة الاستشارية، لجملة من المجلات العربية، والجزائرية منها: كتابات معاصرة (بيروت)، فصيلة إيران والعرب، بيروت

¹ عبد الملك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، ص 179-180

² محمد سيف الإسلام بوفلاقة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، ص 106-107

أصوات صنعاء التراث الشعبي (بغداد)، مجلة معهد اللغة العربية وآدابها في جامعة قسنطينة، مجلة الدراسات الشعبية ، جامعة تلمسان ، مجلة بونة (عناية)، حولية جامعة وهران (وهران)، مجلة المعارف، الجزائر ترأس تحرير مجلة الحداثة التي كان يصدرها معهد اللغة العربية وآدابها في جامعة وهران. عين عضوا في المجلس العلمي لأكاديمية جامعات الغرب الجزائري، بالجزائر (منذ استحداث هذه الأكاديمية إلى أن حلت) ثم عضوا في الهيئة الاستشارية للإبداع الشعري بالكويت لمدة أربع سنوات. نصب عضوا في المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر، برئاسة الجمهورية، وهو منصب دستوري، وذلك كان في عام 1998 ثم رُفِّي رئيسًا للمجلس الأعلى للغة العربية، بنفس السنة الى غاية 2001 م، وهي وظيفة تساوي درجة وزير، كما عُيِّنَ عضوًا في المجتمع الثقافي العربي ببيروت عام 1999 م ، وفي عام أبريل كَرَّمَتِه جامعة وهران، ودُرِّسَتْ أعماله الإبداعية والنقدية على ثلاثة أيَّام في ندوة وطنية، ثم في مجلس الإدارة لمؤسسة الفكر العربي وهذا عام 2002 م ، ثم في مجمع اللغة العربية بدمشق وعضوًا في الهيئة الاستشارية مجلَّة "فَصْلِيَّةُ إيران والعرب بـ «بَيْرُوت» .

1. 2 مؤلفاته وآثاره العلمية ووفاته:

(أ) مؤلفاته:

- تحتوي مؤلفات عبد الملك مرتاض ثروة إبداعية ونقدية لا تقدر بثمن فنذكر من مؤلفاته:
- القصة في الأدب العربي القديم، حيث يعد هذا الكتاب من فواتح نتاجه وباكورة مؤلفاته، نشرته دار ومكتبة الشركة الجزائرية سنة 1968.¹
- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1961، ثم أعادت طبعه سنة 1983.
- فنّ المقامات في الادب العربي صدر في طبعته الأولى عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1980.

¹ محمد سيف الإسلام بوفلاحة ، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض ، ص 107- 109

- الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، نشره اتحاد الكتاب العرب بدمشق عام 1980 م + دار الحداثة ببيروت عام¹1982.
- العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، صدر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1981.
- الألفاظ الشعبية الجزائرية صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1982.
- الأمثال الشعبية الجزائرية صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1982.
- المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر 1983.
- فنون النثر الأدبي بالجزائر صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1983.
- النص الادبي من أين وإلى أين؟ صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1983.
- بنية الخطاب الشعري صدر عن دار الحداثة ببيروت سنة 1986، ثم أعاد ديوان المطبوعات الجامعية نشره سنة 1991.
- في الأمثال الزراعية، صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1987.
- الميثولوجيا عند العرب صدر عن المؤسسة الوطنية للكتاب والدار التونسية 1989².
- ألف ليلة وليلة صدر عن دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد سنة 1989 وأعاد ديوان المطبوعات الجامعية نشره سنة 1993.
- عناصر التراث الشعبي في اللاز صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1987.
- القصة الجزائرية المعاصرة، صدر عن المؤسسة الوطنية سنة 1990.
- ألف ياء صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1992.
- الشيخ البشير الابراهيمي، صدر عن وزارة الثقافة الوطنية سنة 1984.
- شعرية القصيدة - قصيدة القراءة صدر عن دار المنتخب العربي ببيروت سنة 1994.

¹ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، ص 110

² يوسف وغلبيسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض دار البشائر للنشر والاتصال 2002. ص 132

- نظام الخطاب القرآني، صدر عن دار الثقافة بالجزائر سنة 1994.
- تحليل الخطاب السردى، صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية سنة 1995.
- مقامات السيوطي (تحليل سيميائي) اتحاد الكتاب العرب، دمشق 1996.
- قراءة النص، كتاب الرياض، الرياض، 1997.
- في نظرية الرواية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت 1998.
- العشر معلقات اتحاد الكتاب العرب دمشق 2000.
- الأدب الجزائري القديم (دراسة في الجذور)، دار هومة بالجزائر 2000.
- في نظرية النقد (متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة ورصد لنظريتها)، دار هومة، الجزائر 2002،
كما نشر الكتاب في دمشق (2006)، ورصد أيضا بالقاهرة عن المجلس الأعلى للثقافة سنة 2007
- أمّا عن أعماله الروائية فنجدته قد كتب روايات منها:
- دماء ودموع: رواية كتبها بالمغرب 1963، ونشرها سلسلة بجريدة الجمهورية (وهران) 84 حلقة
من نوفمبر 1977 إلى 26-02-1987.
- نار ونور: رواية كتبها سنة 1964، ونشرتها دار الهلال بالقاهرة سنة 1979.
- الخنازير: رواية صدرت عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1985.
- صوت الكهف: رواية صدرت عن دار الحداثة ببيروت سنة 1986.
- هشيم الزمن: مجموعة قصصية، صدرت عن (م، و، ك) بالجزائر 1988.
- حيزية: رواية نشرت سلسلة بجريدة (الشعب)، عبر 15 حلقة، من العدد 7539
(20،01،1988) إلى عدد 7623 (27،04،1988) أسبوعيا.
- مرايا متشظية: رواية صدرت عن دار الهومة بالجزائر سنة 2000.
- حياة بلا معنى: رواية قديمة مخطوطة.
- قلوب تبحث عن السعادة: رواية مخطوطة.

- مملكة العدم: رواية صدرت حديثا ببيروت ¹.

(ب) آثاره العلمية :

كانت لمرتاض إسهامات علمية رفيعة القدر حيث أسّس مجلّة "اللغة العربيّة" بالمجلس الأعلى للغة العربية، وكان يرأس تحريرها، حيث كان رئيسا لهذه المؤسسة التابعة لرئاسة الجمهوريّة [1998-2001]، كما ترأّس تحرير مجلّة الحداثة التي كان يصدرها معهد اللغة العربيّة وآدابها في جامعة وهران، وكذا عضواً في المجلس العلمي للمركز الوطني للأبحاث التاريخية والحركة الوطنية بالجزائر.

أشرف عبد الملك مرتاض على كثير من الأطروحات في جامعات وهران والجزائر وتلمسان وقسنطينة وعنابة وحتى صنعاء وتخرّج على يديه كثير من طلبة قسم اللغة العربية وآدابها².

(ج) وفاته:

وبعد عطاء حافل في مجال الأدب ونقده، وما قدّمه للغة الضاد غادرنا العلامة عبد الملك مرتاض يوم الجمعة الموافق لـ 3 نوفمبر/تشرين الثاني 2023 م عن عمر يناهز 88 عاما مخلفا رصيда معرفيا تعجز عنه الكثير من المؤسسات في نشره رغم ما تملكه من إمكانيات مادية وبشرية، وقد حُقّق له أن يُشْهَد بعلمه، تاركا جيلا من الباحثين الذين نهلوا من علمه.³

"رحم الله الفقيد وجعله ممّن يشهد له علمه يوم القيامة"

¹ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، دار البشائر للنشر والاتصال، 2002م، ص 132 و 134.

² محمد سيف الإسلام بوفلاحة تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، دار الجنان للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2018، ص107-108،

³ طارق بوحالة، مجلّة القدس العربي، عبد الملك مرتاض، رجل العربيّة الأولى، ت: 11 نوفمبر 2023م، العدد: 11164، ص: 17.

ولئن كان الموت قد أسدَلَ الستار على الرحلة الجسدية لعبد الملك مرتاض، فإن غيابه لم يكن إلا عبوراً من ضيق الفناء إلى سعة الخلود المعرفي، وهذا تحديداً في "المنهج" و"النقد"، لذا كان لزاماً علينا الوقوف في بداية دراستنا عند ماهيتهما من الناحيتين اللغوية والاصطلاحية.

2. المناهج النقدية:

1.2 تعريف المنهج:

إننا وقبل أن نختدي إلى المنهج اصطلاحاً نعرفه لغة:

أ. المنهج لغة:

جاء اشتقاق كلمة منهج فيما ورد في حديث العباس رضي الله عنه: لم يمّت رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى ترككم على طريق ناهجة أي: واضحة بيّنة¹.

المنهج كلمة مشتقة من "نَهَجَ" والنّهْجُ هو: الطّريق الواضح، كالمنهج والمنهاج ... ونَهَجَ: وَضَحَ وأَوْضَحَ، والطّريق: سَلَكُهُ، وانتهج الطريق: صار نهجاً كانهْج، وفُلاَنٌ سبيل فلان: سَلَكَ مَسْلَكَهُ²، ثم إنّ الله سبحانه وتعالى جعل لكل أمة منهاجاً تمشي عليه كلّ حسب اختلافها (الأمة)، وقد وردت كلمة المنهاج بمعنى السبيل في قوله تعالى:

﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾

[المائدة: 48]

وقد جاء دائماً في مادة "نَهَجَ": "نَهَجَ" الثُّون والهَاء والجيم أصلاً متباينان:

النّهْجُ: الطريق، ونَهَجَ لي الأمر: أوضحه، وهو مستقيم المنهاج، والمنهج الطريق أيضاً، والجمع منهاج³ حتى أن صاحب معجم الألفاظ والأعلام القرآنية يقول: "نَهَجَ الأمر: وَضَحَ واستَبَانَ، ونَهَجَ سَبِيلَ فُلَانٍ:

¹ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب دار صادر بيروت، 2/383

² مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، 1429 هـ / 2008 م، ص 1656

³ أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريّا، مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ج 5/361

سَلَكْ مَسْلَكُهُ، المنهاج في الدّين الطّريق الواضحة أو الخطّة المرسومة ، والمنهاج في الدّين الطّريق المبين لا لُبْسَ فيه ولا إِبْهام ¹.

معنى هذا أن المنهج لغة في لسان العرب أو في مقاييس اللّغة أو حتّى في تفاسير لغوية أخرى تصبُّ كلّها في نفس المعنى اللّغوي؛ أي: سَلَكْ طَرِيقَ بَيّن واضح مرسوم بطريقة ما.

ب. المنهج اصطلاحاً:

المنهج لكلمة Méthode الفرنسيّة وهي في الأصل كلمة يونانية؛ إذ تستعمل بمعنى البحث أو النظر أو المعرفة، وهكذا كما يراها أفلاطون، وهي بنفس المعنى عند أرسطو بما يحوي أحياناً كثيرة "البحث" كما أنه فنّ يقتضي ترتيباً صائباً للكشف عن حقيقة ما، فهو تماماً عند أصحاب منطق بُور رويال [Port Royal]: "المنهج فنّ التّنظيم الصّحيح لسلسلة من الأفكار العديدة، إمّا من أجل الكشف عن الحقيقة حيث نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للآخرين، حيث نكون بها عارفين" ².

والحقيقة كذلك أنّ المنهج منطق ³، وقواعد تقنيّة محاولة بجهود لإدراك المعرفة الحقّة وهذا حسب ما قاله ديكارت [René Descartes] ⁴، وحسب ما جاء في مقال لإبراهيم فضل الله أنّه مجموعة من القواعد العامّة المتفاعلة من أجل الوصول إلى نتيجة معلومة تكون مؤدّية إلى الحقيقة بعينها ⁵.

فما دام أنّه منطق وقواعد وبحث فإنّ أحد الباحثين يعرفه بالدراسة المنطقيّة لقواعد وطرق البحث العلمي، وصياغتها صياغة تيسّر استخدامها ⁶، وأنّ المنهج مسلك طريق مرسوم بخطّة واضحة، فهو أكيد

¹ محمد اسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والاعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1998م، ص543.

² عبد الرّحمن بدوي مناهج البحث العلمي، الناشر: وكالة المطبوعات شارع فهد السّالم الكويت، ط3، 1977م، ص3 و ص4

³ صلاح فضل، مناهج التّقد المعاصر، ميريت للنّشر والمعلومات، ط1، 2002م، ص9

⁴ زين الدّين زاويخ، جدليّة العلاقة بين المنهج والموضوع، ديسمبر 2021، العدد 2، 78/6.

⁵ إبراهيم فضل الله، منهج جديد في التّقد العربي: السّكون والحركة، منهج نقدي عربي جديد، مجلة المجمع للغة العربيّة، 2022م، العدد 1، 96/18.

⁶ زين الدّين زاويخ، جدليّة العلاقة بين المنهج والموضوع، ديسمبر 2021، العدد 2، 78/6.

أنّه يتبع قواعد للوصول إلى معرفة المجهول بمنطق وفق أدوات إجرائية تجعل المنهج فنّاً منظماً خاضعاً لما ذكرناه من تعريفات.

إذن عرفنا أنّ المنهج إقامة سبل وطرق، فقد يُطبَّق في معرفة صيغة محتوى الحوار الذي قد يجري بين شخصين، فيضفي إلى تعقيب عنه، فيُرجأ به غرض حسن الكلام أو قبحه، فتلافت العرب على ذلك بالحكم القاضي بفنّ الجودة، فذلك باب النّقد، فعن عيسى ابن مريم عليه السلام قال: خُذُوا الْحَقَّ مِنْ أَهْلِ الْبَاطِلِ، وَلَا تَأْخُذُوا الْبَاطِلَ مِنْ أَهْلِ الْحَقِّ، كُونُوا مُنْتَقِدِينَ لِكَيْمًا لَا يُجُوزَ عَلَيْكُمُ الرِّيُوفُ".¹

2.2 تعريف النّقد:

إنّنا وفق هذا المأثور الحكيم ممّا ذكره عسى عليه السلام بالزامية الانتقاد في الكلام فإنّه يهتدي العارف ممّا بمفهومين للنّقد فإنّ:

(أ) النّقد لغة:

قد وردت كلمة "نَقَدَ" في اللغة العربية بعدة معانٍ، ولكنّها تتلاقى في سبيل مشترك ؛ ف : "نقد" التَّوَنُّ والقاف و الدّال أصل صحيح يدلُّ على إبراز شيء و بروزه، من ذلك :النَّقْدُ في الحافر، وَ هُوَ تَقْسُرُهُ حَافِرٌ نَقْدٌ: مُتَقَسِّرٌ ، وَ النَّقْدُ فِي الضَّرْسِ: تَكْسُرُهُ...، وَمِنْ الْبَابِ : نَقْدُ الدَّرَاهِمِ، وَذَلِكَ أَنْ يُكْشَفَ عَنْ حَالِهِ فِي جَوْدَتِهِ غَيْرَ ذَلِكَ وَ دِرْهَمٌ نَقْدٌ: وَازِنٌ جَيِّدٌ، كَأَنَّهُ كُشِفَ عَنْ حَالِهِ فَعِلِمٌ² ، وَ فِي مَعْجَم لِسَانِ الْعَرَبِ: النَّقْدُ " نَقَدْتُهُ الدَّرَاهِمَ، وَانْتَقَدْتُ لَهُ الدَّرَاهِمَ، أَي: أَعْطَيْتُهُ فَأَنْتَقَدَهَا ؛أَي قَبَضَهَا وَنَقَدْتُ الدَّرَاهِمَ وَانْتَقَدْتُهَا ؛إِذَا أَخْرَجْتُ مِنْهَا الرِّيفَ..."³ .

¹ أمالي ابن بشران عبد الملك بن محمد البغدادي (المتوفي: 430هـ) ضبط نصّه: أبو عبد الرحمان عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار الوطن، الرياض ط الأولى: 1418هـ /1997م، ص 86، برقم 171.

² أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 467/5

³ جمال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، ط 6، بيروت، لبنان، 14/334

وجاءت كلمة "النقد" في موضع آخر: أن هي: خلاف النسيئة، وتمييز الدراهم وغيرها، كالتنفاد والانتقاد والتنفيد، وإعطاء النقد، والنقر، الأصبع في الجوز، وأن يضرب الطائر بمنقاده، أي: بمنقاره في الفخ، وأنقد الشجر: أوزق، انتقد الدراهم: قبضها.¹

ومن هنا نجد أن كلمة "نقد" يختلف معناها في عدة مواقع من الكلم لكنها في باب معنى التفسر والتكسر والميز بين الجيد والردىء، كل هذا يظهر وجه الشيء الحقيقي في نهايته وتمييزه إن كان جيداً أو رديئاً فباب التفتيح يوصل إلى النقد فهما متقاربتان لغويّتان.

ب) اصطلاحاً:

النقد في مفهومه الاصطلاحي (ظاهراً) عملية وصفية تبدأ بعد عملية الإبداع مباشرة، وتستهدف قراءة الأثر الأدبي ومقارنته؛ قصد تبيان مواطن الجودة والرداءة، يسمى الذي يمارس وظيفة الإبداع في محاكمته بالنّاقِد؛ لأنّه يكتشف كلّ أصيل في النصّ الأدبي، ويميّز بين ما هو زائف أو مصطنع، وتسمّى مهمّة النّاقِد بالنّقد².

وقد يعني النقد في تعريفه "تعبير عن موقف كلي متكامل في النظرة إلى الفنّ عامّة أو إلى الشعر خاصّة يبدأ بالتذوق؛ أي: القدرة على التمييز، ويعبر منها إلى التفسير والتعليل والتحليل والتقييم".³ وقد جاء في مفهوم آخر أن كلمة "النقد" [Criticism] تعني في مفهومها الدقيق الحكم، فالنّاقِد الأدبي إذن يعتبر مبدئياً كخبير يستعمل قدرة خاصة ومرانه في قطعة من الفنّ الأدبي، فهي عمل لمؤلف ما يفحص مزاياها وعيوبها ويصدر عليها حكماً، فهذا حكم جزئي للنقد أي الأدب الذي يتكوّن من

¹ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 1429هـ، 2008م، ص 1640.

² عبد الرحمن خلدون، النصّ الأدبي على ضوء المناهج السياقية والنصية، مجلّة الزهراء، أبحاث في اللغة والأدب، عدد 5 ديسمبر 2021، ص 90.

³ إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة: بيروت، لبنان، ط 4، 1983، ص 5.

النقد، فيسمى بـ "أدب النقد" والثاني يتناول ألوان الأدب: كالشعر والدراما والرواية وغيرها فيسمى بـ "الأدب النقدي" الذي يعرف بأنه تفسير لهذه الفنون¹.

وعليه فإن النقد فنّ تقويم الأعمال الأدبية والفنية، وهذا بفحص النصوص من حيث مصادرها، وصحة نصّها وصفاتها وتاريخها²، فهو يحكم ما إذا كان العمل فعلاً أدبياً أم لا، وهذا على مستوى قيمته³، وقد ذكر بمفهوم آخر يتجلى بنفس التعريفات، وهذا بالتعرف إلى العناصر المكونة لها لتنتهي إلى إصدار حكم يتعلق بمبلغها من الإجابة⁴.

ومن كلّ هذا يتراءى لنا أنّ النقد هو الوصف والتفسير والتعليل والتحليل والتقييم، فحكم في الأخير، فدور الناقد هنا جلي باتخاذ جزاء العمل الفني بإيجابه أو عكسه وهذا يدخل ضمن تقنيات مدروسة مؤسسة بقواعد وضوابط وفق مناهج، وهذا ما سنعالجه وصفاً وضمناً.

وبما أنّنا تطرقنا إلى المفهومين اللغوي و الاصطلاحي للمنهج و النقد، فعلياً أن ننوّه أن الحكم في تأطيره النهائي أو اللأخائي يحتاج إلى منهج يُنوّس فيه التحليل و التفسير والتعليل؛ فإنّ النهج سبيل مستقيم وبيّن⁵، ويُقال مجازاً "نَهَجَ أسلوباً" أي: اتبع طريقة محددة في التعبير و التفكير⁶، فهذا يسقط لمجال التطبيق الكتابي أو حتى الشفوي، ثمّ تنتقل إلى مادة "نَقْد" فهي صحيح تمييز الدّراهم و إخراج الزّائف منها؛ فيفرق و يميز ما بين الصحيح و الباطل و ذلك فيما يُدلى باستعمال الكلام و الفكر، ويقال "نَقْدَ"

¹ أحمد أمين، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 4، 1972، ص173.

² إبراهيم محمد خليل، مناهج النقد الادبي من المحاكاة الى التفكير دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1: 2003م - 1424هـ / ط 4، ت: 2011م-1432هـ، ص11.

³ إينزيك أدرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، ترجمة: الطاهر أحمد مكّي، جامعة القاهرة، ط الخاصة، ت: 1421هـ-2000م، ص32.

⁴ جَبّور عبد النور، المعجم الادبي، دار الملايين، بيروت لبنان، ط 2: 1984م، ص283، مادة (نقد)

⁵ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار النشر الكويت، الإصدار ما بين: 1965م / 1385م - 2001م / 1422هـ، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 39 / 298.

⁶ المصدر نفسه من ص 298 / 304

الشَّعْر "أي بين جيده و مساويه¹ ، وعن أبي الدرداء قال: قال النبي صَلَّى الله عليه وسلّم: "إِنْ نَاقَدْتَ النَّاسَ نَاقَدُوكَ وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ لَمْ يَتْرُكُوكَ..."²، و تستعمل أيضا بمعنى أوسع؛ وهو تقويم الشيء ، و الحكم عليه بالحُسن أو القُبْح، وهذا يتفق مع اشتقاق الكلمة ،فإنَّ أصلها من نقدِ الدّراهم، وهنا كذلك أنَّ النَّقْدَ استعراض القطع الأدبية لمعرفة محاسنها أو عيوبها³.

وعليه فإنَّ كلَّ ناقد ينتهج أسلوبا في التفكير ليُمَيِّز جيد القطعة كما العملة الفضيّة أو الذهبية من زائفها ممّا يستلزم الخبرة والفكر ثم الحكم⁴، فيحدث هنا انتقال الاستعمال - كما سبق الحديث - إلى النقد الأدبي والفكري بمعنى التمييز بين الجيد والردّيء في الكلام والشَّعر تماما كما يُميِّز الدراهم الصحيح من الزائف؛ فيُتبع المنهج "سبيل" وهذا بمعرفة القواعد والوسائل.

إنَّ هذه الأخيرة هي التي تمكّننا من أن ننتقد -بحكم- على القطعة الأدبية أجيدة أم غير جيدة⁵ ، وعليه فإنَّ النقد خضع لمنهج، وأنَّ هذا الأخير حدده بالزمن⁶؛ إذ بداية علاقة المنهج بالنقد هي الفلسفة موطن التفكير⁷ ، ثمَّ أنّه من الشّروط الضّروية للنقد الواعي أن يعمل في إطار منهج محدد وغاية واضحة قبل تناول القصّة أو القصيدة، وذلك بطريقة وأسلوب في المعالجة فهنا يكون الناقد وفق عمل

¹ محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار النشر الكويت، الإصدار ما بين: 1965م / 1385م - و 2001م / 1422هـ، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 10/ 395-400.

² أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق: محب الدين أبي سعد عمر بن غرامة العمري، ت: 1417م / 1997م، ط 1، م: 47، ص 178-179.

³ أحمد أمين، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ت: 1972، ط 4، ص 1.

⁴ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، 1973، ص 11.

⁵ أحمد أمين ، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، ت: 1972، ص 1.

⁶ محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، النّشر مؤسسة هنداوي 2017. ص 15 - ص 16.

⁷ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، لبنان 1973، ص 13.

منهجي موضوعي¹؛ يعني علاقة منظّمة بمنهج محدّد كما ذكرنا ليصدر حُكْمًا لا يحيد عن موضوعيّة مادّيّة العمل الأدبي للتفسير.

إذن فكلاهما "النقد والمنهج" مجالان معرفيان، فأعتبر النقد علمًا يفسّر ويقيّم العمل الأدبي بطريقة منطقية تجريدية، وله علاقة بالمناهج، فلولا هذا النظام المعرفي لأصبح النقد عملية مبعثرة مفكّكة، يقيم أفكارًا مشتّتة انطباعيّة.

وبالتالي نتفق مع محمد سعدون أنّ النقد يحتاج إلى قوانين ومبادئ تضبطه من أجل الوصول إلى نتائج علمية أكاديمية، وعليه نستخلص أنّ علاقة المنهج بالنقد علاقة تكملية منظمة؛ وكما في المثال العربي "حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق"؛ فالقلادة طوّق من المناهج تحدد بمنهجها موضوع النقد. إنّه ولا شكّ بات من المؤكّد أن النص الأدبي صار يحتاج إلى تنظيم معارف وفق هياكل منهجية ليستدعي الحكم عليه بالسلب أو الايجاب، خاصّة مع تطور العلوم الإنسانية كعلم الاجتماع، الفلسفة وعلوم اللغة الحديثة (اللسانيات)، وهذا عبر العصور التي توالى ما بين فترتي القرن التاسع عشر والعشرين، فظهر تركيب ما يسمى بـ: المناهج النقدية.

3.2 مفهوم المناهج النقدية وأنواعها:

(1) مفهوم المناهج النقدية:

إنّه ووفق ما أستخدم عليه سلفا أن المناهج النقدية مجموعة أُطرٍ نظرية أو إجراءات عملية تهدف إلى وصف وتفسير أو تحليل أو تفكيك أو تأويل نص أدبي معيّن أو قراءة الأثر قراءة ظاهرة أو كامنة وفق معايير لغوية أو أسلوبية أو سيكولوجية أو علمية أو شكلية²؛ معنى هذا أنّ هذه الأطر النظرية تنبثق عنها اتجاهات حيث أنّ هذه الأخيرة تستمد معارفها من مختلف العلوم وحتى الأفكار، ثم تُنَوِّه أن

¹ محمد مصايف، دراسات في النقد والادب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981، ص 25-26.

² سمير حجازي قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، الآفاق العربية، القاهرة. ط 1 1421هـ/2001م، ص 91

نقول أنّ بداياتها كانت فلسفية منذ القدم¹؛ معنى هذا أن هرم المناهج النقدية فلسفة ثم قواعد لكل اتجاه ثمّ تحليل فحكم.

يستخلص من بعض التعريفات حسب بعض أهل الاختصاص أنّ المناهج النقدية منظومة فكرية ومعرفية²، تنطلق من نظريات وكل نظرية تفسر أنها مجموعة من السبل التي ينبغي أن نسلکها للبرهنة على تحقيقها بمقادير مختلفة، هذه السبل والإجراءات التي يتخذها أصحاب أية نظرية لتحليل الأعمال الأدبية؛ ثم إنّ كلّ نظرية تُعدّل من المناهج السابقة للتوافق مع مبادئها وأدواتها ومستلزماتها³.

فما دام النقد الأدبي يتضمن نظريات معرفية؛ فإنّ كلّ نظرية تقوم على أسس وقواعد يجب اتباعها للوصول إلى الهدف، وعليه فإنّه لا بدّ على كل منهج نقدي يدرّس النصوص الأدبية أن ينطلق من مبادئ ومنطلقات معرفية يركّز عليها⁴، وهذا حسب ما ذكرناه سابقاً.

ونُجمل القول في تعريف المناهج النقدية أنها مجموعة طرق في حقل العلوم الإنسانية؛ مادام أنّ المنهج النقدي الواحد منها هو طريقة من الطرق يتبعها الناقد في استكناه دلالاته وبنياته الجمالية والشكلية⁵.

إذن المناهج النقدية هي المظلة التي تجمع أنواع المناهج في حقلها الإنساني واللغوي، وسنأتي على ذكر هاته المناهج في دراستنا.

لما كان النص الأدبي نافذة لأفكار الأديب وبوابة الوصول إلى ما وراء القصصية، بات من الضروري البحث عن منهج ملائم للدراسة النقدية، فلا معنى لنص بدون منهج، فالعلاقة بينهما — كما سبق —

¹ منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان الأردن، ط 1، 1997، ص 5.

² صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ميلات للنشر والمعلومات، ط 1، 2002، ص 11.

³ المرجع نفسه، ص 12.

⁴ عبد السلام المسدي الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1، 2004، ص 320.

⁵ كبريت علي وحسني مصطفى، المنهج النقدي بين —الأصول والآفاق —مجلة عامية دولية، جامعة تسمسليت، الجزائر، المجلد 5

العدد 02، 2021، ص 332

تكميلية، فلا يحكم إلاّ به (المنهج)، فلمّا تعدّدت المعارف الإنسانية دُرست النصوص شكلياً، بهيئة خارج النص، وهذا ما أوّماً به الشكلاونيون الروس، فسميت هاته المناهج بالمناهج السياقية وغداة تطور الدراسات اللغوية (اللسانيات) ظهر لنا ما يسمى بالمناهج الداخلية أو بالأحرى "المناهج النصية".

إنّنا إذا تحدّثنا عن هاتين الكوكبتين من خريطتي النقد، فلا يحق لنا إلا أن نُعرّج في كلامنا عن مسار النقد بداية بمحاكماته عبر مذاهبه الأولى في أوروبا حيث كانت حُضُوته الأولى:

الكلاسيكية التي هي أقدم المذاهب الأدبية جميعاً¹، إذ يرجع تاريخها في السابع عشر ميلادي إلى أيام اليونان بداية من أفلاطون [427-347 ق. م] إلى أرسطو في كتابه "فنّ الشّعْر" أو "في الشّعْر"² فبلغت أوج ازدهارها في أوروبا لُزخرفِ الكلام، فما لبث الناس أن سئموا هذا الزخرف الفضفاض لتأتي الرومانتيكية التي حررت الشاعر، فانتقلت من الواقع المادي المحسوس إلى تحليل الخيال وألوان التصورات³ إلى الرومانسيّة [Romanticisme] التي هي حركة أدبية نقدية استثارت العاطفة المبدعة، وأعلّكت من شأن الفرد و الإرادة الإنسانية، فتمثل الناس فيها صدقاً⁴ إلى ظهور الرمزية حوالي عام 1880م حيث زلزل باستيل [Pastel] التقاليد والقواعد الأدبية للفن الكلاسيكي إلى الواقعية التي كانت اتحدت من المجتمع وسيلة للتعبير عن واقع ابن الشارع البسيط وأمور الحياة العادية التي جهلها التاريخ أو تجاهلها، ومن أبرز رواد الواقعية بلزاك [Balzac] وفلوبير [Flaubert] وموباسان [Maupassant] الذين أنتجوا إنتاجاً أدبياً في القصة والرواية أكثر في الأدب المسرحي⁵.

¹ طالب خليف السلطاني النقد الادبي جامعة بابل كلية التربية الإسلامية العراق ط الأولى 2014م / 1435هـ ص 75

² عثمان موافي، مناهج التّقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، مصر، 2003م، ج 1 / ص 27، وبسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، ص 13.

³ أحمد أمين، التّقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية للنّشر، ط 4، ص 306

⁴ شكري عزيز ماضي، مناهج التّقد الأدبي، مقدّمات، نصوص، تطبيقات، دار الفارس للنّشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط الأولى، 2020م، ص 45 وينظر أحمد أمين، ص 305 الإسكندرية، مصر، ط 1: 2006م.

⁵ أحمد أمين، التّقد الأدبي، ص 403-404 وطالب خليف السلطاني، التّقد الأدبي، جامعة بابل، كلية التربية الإسلامية، العراق، ط الأولى: 2014 م / 1435 هـ، ص 80

(2) أنواع المناهج النقدية:

أ. المناهج السياقية (الخارجية)

وعليه فإنه ومن خلال تتبعنا لمسار النقد ندرك أن المناهج السياقية ماهي إلا عصارة الواقعية التي تنأى بالعلوم الإنسانية إلى منهج تاريخي، نفسي، اجتماعي، ولذا سنُفردُ دراستنا في التحدث عنها، نظراً لما كان لها من تأثير في سياق النص فـ:

أولاً: المنهج التاريخي:

يعد أول المناهج النقدية؛ ذلك أنه يرتبط بالتطور الأساسي للفكر الإنساني، لاسيما إذا اتصل بالمجال النقدي على وجه الخصوص¹، فهو يتخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لفهم الأدب وتحليل ظواهره المختلفة²، وقد كانت نشأته خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي ومنهم من قدر ظهوره [المنهج التاريخي] في النصف الثاني من القرن التاسع عشر³، أمّا مؤسسه الناقد الفرنسي سانت بييف [1869-1804-Sainte-Beuve] فقد كان بييف [Beuve] أول ناقد يسعى إلى إنشاء تاريخ طبيعي للأدب، فالمنهج التاريخي ينطلق من منطلق أن الحقائق لا تكمن إلا في الواقع الملموس، ثم إن من أعلام هذا المنهج بعد سانت بييف نذكر إميل زولا [Émile Zola 1840-1902] و هيبوليت تين [1828-1893 Hippolyte Taine]⁴، وغيرهما ممن انتهجوه بالعوامل الزمانية والمكانية على مستوى النقد التاريخي، وعلى ذكر مؤلفات هذا المنهج نذكر مثلاً:

¹ صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، مبريت للنشر والمعلومات القاهرة، مصر، ط الأولى، 2002م، ص 25

² وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، آفاق معرفة متجددة، القدس: دار الفكر، سوريا، ط الثانية، 1430 هـ - 2009م، ص 23

³ صلاح فضل، ص 25 وشكري عزيز ماضي، مناهج النقد الأدبي، مقدمات، نصوص، تطبيقات دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط الأولى 2020م، ص 69

⁴ وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي، ص 23، وشكري عزيز ماضي، مناهج النقد الأدبي، ص 69

كتاب: "مفاهيم نقدية" من تأليف رينيه ويليك [Rene Wellek] وكتاب: «منهج البحث في الأدب ل: لانسون» [Lanson] ¹.

ثانياً: المنهج الاجتماعي:

هو نقد يعني بدراسة الأدب و تحليله و تفسيره و تقويمه من منظور اجتماعي، حيث هو انعكاس للواقع الاجتماعي أو صورة للمجتمع؛ إذ أنه تيار بيني البنى التحتية و الفوقية بالإنتاج الأدبي حيث يقول جورج لوكاتش [Cyörgy Lukacs] : "إنه منهج يتكون أولاً وقبل أي شيء من دراسة الأسس الاجتماعية الواقعية بعناية"، فهذا المنهج يعمل على دراسة العمل الأدبي كونه جزء من بنية النظام الاجتماعي، فقد خرج إلى عالم الدراسات النقدية من رحم المنهج التاريخي، وقد خرج عن طريق النقاد كلوكاتش [Lukacs] و لوسيان جولد مان [Lucien Gold Man]؛ هذا الأخير الذي يربط العمل الإبداعي بمحتوى الوعي الاجتماعي²؛ إذ أنه حصيلة الظروف، وانعكاس للحياة بأبعادها كافة³، فمع مجيء القرن التاسع عشر الميلادي بدأ الاهتمام الحقيقي بالدراسة بين الأدب و المجتمع⁴، فلذا نُضجَ المنهج الاجتماعي أو النقد الاجتماعي [La Sociocritique] كما يحلو تسميته ل: بيير باربيريس [Pierre Barbéris]، فالأدب عنده ظاهرة اجتماعية، حتى أنه ظهر له عدة مصطلحات نقدية مهمة مثل: الفن للمجتمع، رسالة الأدب، الأدب الثوري... الخ⁵، ونذكر مؤلفات للمنهج الاجتماعي

¹ صلاح فضل مناهج النقد، ص 36-44

² شكري عزيز ماضي، مناهج النقد الأدبي، مقدمات، نصوص، تطبيقات، دار الفارس للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط الأولى 2020م، ص 161 وصلاح فضل مناهج النقد المعاصر، مبريت للنشر والمعلومات القاهرة، مصر، ط الأولى، 2002م، ص 56، ومحمد دحروج، مناهج النقد الكلاسيكية، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان الأردن ص 288

³ وليد، قصّاب، مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية اسلامية، آفاق معرفة متجددة، القدس: دار الفكر، دمشق سوريا، ط الثانية 1430هـ-2009م ص 35

⁴ محمد دحروج مناهج النقد الكلاسيكية، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن ص 290

⁵ عثمان موافي مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر ص 65-67

ك: كتاب "من أجل تحليل سوسيولوجي للرواية" ل: جولدمان [Lucien Gold Man] وكتاب النقد الاجتماعي ل: بيير زيمّا¹ [Pierre V. Zima].

ثالثاً: المنهج النفسي:

هو منهج نقدي غربي شأنه شأن غيره من المناهج²، بدأ بشكل علمي منظم مع بداية علم النفس ذاته بحوالي مئة عام على وجه التحديد في نهاية القرن التاسع عشر بصدور مؤلفات فرويد في التحليل النفسي، حيث ميز بين الشعور و اللاشعور وبين الوعي و اللاوعي، وهذا بين مستويات الحياة الباطنية³ مما يسمح لعلم النفس أن يفهم ويستبصر الأمور على نحو لم يكن متيسراً في دراسة أصول الأعمال الأدبية ومبانيها؛ مادام أنّه يدخل إلى الأدب من خلالها⁴؛ معنى هذا و حسب سيموند فرويد [Sigmund Freud 1856-1939م] أنّ كل الأعمال الأدبية في جوهرها مخلوقة عن الدوافع المكبوتة في اللاشعور، فهذا حسب فرويد يعدّ إبداعاً؛ إذ أنّ كلّ إنسان خلال العملية الإبداعية يكون عُصَبِيّاً حسب هُؤُوة اللاشعور؛ إذ يقول أندريه غرين [Andre Green]: "فمن أيّ قوى يقتات هذا الإبداع، إن لم يكن من تلك التي تعمل عند المبدع".

إذن نصل إلى حدّ القول أنّ فرويد ينتقد الأعمال الإبداعية بأنّها عملية لا شعورية فيقول ستانلي إدجار هايمن [Stanly Edgar Human] "إنّ النّقد بعامة كان نفسياً منذ بدايته".

¹ صلاح فضل مناهج النقد المعاصر، مبريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر ط الأولى، 2002، ص 59-63

² وليد قصاب، مناهج النقد الحديث، رؤية إسلامية، آفاق معرفة متجددة، القدس: دار الفكر، دمشق، سوريا، ط الثانية، 1430هـ-2009م، ص 67 والمعلومات، القاهرة، مصر، ط 1، 2002، ص 66

³ صلاح فضل، مناهج النقد الأدبي، مبريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط الأولى، 2002، ص 66

⁴ شكري عزيز ماضي مناهج النقد الادبي، مقدمات، نصوص، تطبيقات، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط 1 2020م، ص 94-99

فقد نجح علم النفس في تطبيق مبادئ التحليل النفسي على الآثار الفنية بيد الناقد الإنجليزي هربرت ريد [Herbat Edward Read] عن قصة "أليس في بلاد العجائب" ¹؛ الذي يقول أنه على الناقد أن يلتقط من السيكولوجيا لتحليل النص ²، ثم إن من متبعي مدرسة فرويد: ألفرد أدلر [Alfred Adler] وكارل غوستاف يونج [C.G. Jung] ³.

إن من بين ما كُتِبَ من مؤلفات في المنهج النفسي: كتاب علم النفس والشعر ل: كارل جوستاف جونغ [Carl Gustav Jung] في فلسفة العالم الأدبي، وكتاب الكاتب والتحليل النفسي ل: إدموند برجلير [Edmund Bergler] ⁴.

وعليه إنه ووفق دراستنا للمناهج الخارجية نجد أنها تدرس النصوص بمعزل عنها تماماً [خارج النص نفسه] مهمة الدراسة الداخلية الحقة له، فما كان من النقاد الجدد [New Critis] إلا أن نادوا باستقلالية الأدب عن علوم الإنسان ونبذ الطرق التقليدية التي أضحت غير كافية، فنجد المنهج التاريخي يطغى على الدرس الأدبي مما يفقد النص أدبيته؛ ليوشك أن يكون تاريخاً لا فناً جمالياً ⁵، أما الاجتماعي فقد تمّ تجاوزه رغم ما فيه من تفسير للعمل الأدبي وفهمه، إلا أنه يصدر الأحكام النقدية بناءً على الحياة الاجتماعية بعيداً عن النظام اللغوي والفنّ القولي ⁶.

¹ محمد دحروج مناهج النقد الكلاسيكية، دار البداية، ناشرون وموزعون، عمان، الأردن ص 66-58

² المرجع نفسه، ص 58-79

³ عثمان موافي مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 2003، ج 1/ص 5.

⁴ إنزيك اندرسون إمبرت، مناهج النقد الأدبي، ت: الطاهر أحمد مكي، جامعة القاهرة، مصر، ط خاصة، 1421هـ-2000، ص 134-137.

⁵ طالب خليف السلطاني، النقد الأدبي، جامعة بابل، كلية التربية الإسلامية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط الأولى 2014م/1435هـ، ص 14، وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، آفاق معرفة متجددة، القدس، دار الفكر، دمشق، سوريا، ط الثانية 1430هـ/2009، ص 32-48.

⁶ بستم قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء للطباعة والنشر، والإسكندرية، مصر ص 51.

ونأتي على ذكر المنهج النفسي فإنّ بعض المحلّلين ك: يونج [Jung] يعترف أنّ هذا المنهج يُغفل القيم الفنيّة والجماليّة حين يقول: "إنّ عالم النفس لا يصنع نقداً أدبياً يستطيع أن يفهم عملاً حين يصل إلى العمق" ثمّ أنّه لا يُعقل أن يكون - حسب فرويد - الأديب مريضاً، فهذا لا يعقل! فلا يمكن لنفسيّته أن تتمرّق لعمله الإبداعي حيث يقول: إنريك إندرسون إمبرت [Enrique Anderson Imbert]: "كلّ فنّان عندهم مختلّ الأعصاب؛ إذا لم يشفه نشاطه الخلاق، فيُحوّل على الأقل دون تردّيه" ¹، ثمّ أنّه من خلال قراءتنا للمنهج النفسي فإنّ فرويد [Sigmand Freud] في حدّ ذاته يعترف بشكل غير مباشر بعدم جدوى المنهج النفسي في النّقد الأدبيّ (وهذا من خلال القراءة)، أمّا عبد الملك مرتاض فإنّه من ألّد أعداء القراءة النّفسانيّة؛ ذلك أنّه من سلبياتها الابتعاد عن النّص الأدبيّ لتأويل تصرّفات الأديب من خلال ما أبدعه، وهذا ما أسماه: المنهج التّحلفسي ²، فرمّا حسبه أنّ اللّغة العربيّة مرنة؛ لكنّا نقول أنّ نحت كلمة « علم النفس » بـ « تحلفسي » لم يكن إلّا نقصاً مبيناً لهذا المنهج في دراسة الأدب، فهذه المناهج تُعدّ ناقصة، فهي لم تُحلّل النّص من الدّاخل فكما يقول أبو البقاء الرّندي - كلّ شيء إذا ما تمّ نقصان - ³، وعلى إثر هذا السّبب دعا النّقاد الجدد إلى دراسة النّص بمقاربات داخلية (المبنى والمضمون)، وهذا ما دعا له مارسيل بروستي [Marcel Broust] و شارل بالي [Charles Bally]، وغيرهما ممّن طالبوا بالنّظرة الجديدة للأدب، ثمّ اندماج المدارس النّقدية الجديدة إلى النّقد الألسني ⁴، فأرجع المبدأ والدّور للّغة التي هي مبنى كلّ نصّ وفاعليّته وجماليّته فاللّسانيات [Linguistique] من أبرز علوم العصر الحديث حيث أعادت الاعتبار لها (اللّغة) ⁵، وثمّ إنّ مؤسّسها دوسوسير [Ferdinand de Saussure]

¹ وليد قصاب منهج النقد الأدبي الحديث، ص 63.

² يوسف وغلسي، مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1428هـ-2007م، ص 28-ص 29

³ أبو عبد الله عيسى بن محمد بن إبراهيم الشامي، ديوان: رثاء الأندلس لابي البقاء الرندي، ص 29.

⁴ طالب خليف السلطاني، النّقد الأدبي، ص 14

⁵ سفيان بوساحة، تاريخ نشأة الدّرس اللّساني في أوروبا، مجلّة الرّواق للدراسات الإجتماعية والإنسانية، م 11/ع 2، ت: 2025،

1857م-1913م] اهتمّ بالثنائيات الجديدة من طراز (اللغة و الكلام) و(الدال و المدلول) و(الآية والزمان) وغيرها من الرؤى الألسنية التي شكلت المهّد الفكري للمناهج المعاصرة¹، ممّا جعلها تتقاطع مع الأدب و النقد²، فلمّا توفي دوسو سير [Ferdinand De Saussure] ما كان من تلميذه: شارل بالي [Ch. Bally] و البيرسيشهاي [A. Sechehaye] إلّا أن نشرّا محاضراته في كتاب تحت عنوان: محاضرات في اللسانيات العامة³ [Cours de Linguistique Générale] .

يُعَدّ دوسوسير العالم اللغوي هو صاحب النّقلة النوعيّة في تطوّر الدرس النّقدي للأدب وتأسيس المنهجيات للوصف والنّظر في منظومة للأفكار المتداخلة في مجال فهم النصّ الأدبي وإدراك التركيب الداخلي خاصّة بحلول القرن العشرين⁴، ممّا تمخّض عنها مناهج نقدية، فصار النموذج الغربي القلب العالمي المعمول به⁵ .

ب. المناهج النصية(الداخلية):

نذكر ترتيبها كالتالي:

أولاً المنهج البنوي [Structuralism]:

يدعى كذلك البنيوية تأنيثاً ، فهي تعدّ منهجاً نقدياً ؛ إذ تشكّل إحدى معالم الحداثة النّقديّة الغربيّة⁶، وهي في الأصل نابعة من روافد مدرسة الشّكليين الرّوس التي ظهرت في عشرينيات وثلاثينيات

¹ يوسف وغلّسي، مناهج النقد الأدبي، ص64

² الحاج قديح، اللّسانيّات في خدمة النقد الأدبي، أعمال الملتقى الوطني، مارس 2010، ج1، ص 475

³ يوسف وغلّسي، مناهج النقد الأدبي، ص64

⁴ العراقي لخضر، الأصول اللّغويّة للمناهج النقدية المعاصرة، مجلّة الآداب واللّغات، ع: 9، ديسمبر 2005، ص241 - ص243.

⁵ حسني مصطفى، كبريت علي، اللّسانيّات وأثرها على المقاربات التّصنيّة، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، م: 10، ع: 3، 2021م، ص1162.

⁶ قوّاس نبيل، البنيوية من التّحذير الفلسفي إلى التّنوير النقدي، مجلّة علوم اللّغة العربيّة وآدابها، م 1: 1/ ع: 1، 2021/03/15، ص236.

هذا القرن¹ حيث يرى إميل بنفست [Benveniste Émile] أنه تمّ تأكيد مبدأ "البنية" كموضوع للبحث قبل 1930 على يد مجموعة صغيرة من الألسنيين رغم أنّ البنيويّة تمتد حقولها من العلوم الأنثروبولوجية والنفسية (المناهج الخارجية) إلّا أنّها أخذت ثنائيات دي سوسير لدراسته بنية اللّغة، وفي ثنائية (اللّغة والكلام) و (الدّال والمدلول) و (الآنيّة والزّمنيّة) وغيرها من الرّؤى اللّسانيات السّويسيريّة². إذن: نستخلص أنّ البنيويّة مشتّقة من "البنية" فحسب الزواوي بغورة أنّها منهج يقوم أساسا على دراسات العلاقات المذكورة سابقا، وعلى رأي شكري عزيز ماضي أنّ أصولها محاولة لتطبيق منهج علم اللّغة على الأدب ونقده أي: بنية اللّغة في النّصوص³.

ومن أتباع هذا المنهج: رولان بارت [Roland Barthes] وليفي ستراوس [Lévi-Strauss] و جان لاكان [Jacques Lacan] وميشال فوكو⁴ [Michal Foucault].

أمّا ما ألف عن البنيويّة: كتاب "اللّغة الأساسيّة للبنيويّة" ل: رومان جاكبسون⁵ [Jakobson Roman]، وكتاب "أنثروبولوجيا البنيويّة" ل: كلود ليفي [Claude Lévi-Strauss] ولما كانت البنيويّة في أوجها، كان لأحداث أيار عام 1968 م في فرنسا الأثر الحاسم في وقف المدّ البنيوي، وبدء ثورة مناهج أخرى⁶.

ثانيا المنهج الأسلوبي:

¹ شكري عزيز ماضي، مناهج النّقد الأدبي، ص 239.

² عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النّقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي للنشر، ط2، 1996م، ص 40-ص 21.

³ عبد القادر رحيم، البنيوية مفهومها وأهمّ روافدها، قسم الآداب واللّغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ع: 14 و 15، ت: جانفي-جوان 2014م، ص 468.

⁴ المرجع نفسه، ص 469.

⁵ المرجع نفسه، ص 477.

⁶ عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النّقدية الحديثة ص 18-21

الأسلوبية مصطلح مشتق من كلمة الأسلوب كما نعلم، فهو أقدم بكثير مما هو عليه في العصر الحديث، ثم إنَّ الأسلوبية تفرّعت عن اللسانيات رغم أنَّها الوريث الشرعي للبلاغة؛ وقبل ظهورها (الأسلوبية) ننوّه على أنَّ الأسلوب كان موجوداً منذ أرسطو¹.

نشأت الأسلوبية في أحضان علم اللغة على يد شارل بالي [Charles Bally] الذي كان تلميذاً لـ: فرديناند دي سوسير [Ferdinand de Saussure] والذي دعا إلى دراسة اللغة كبنية متكاملة حيث يقول رينيه "لا يمكن متابعة البحث الأسلوبي بنجاح بعيداً عن علم اللغة"²، ثمَّ يعرفها جون ديوبوا [Jean-Paul Dubois] أنَّها الدراسة العلمية [l'étude scientifique] لأسلوب في الأعمال الأدبية³ تدرس اللغة بجميع مستوياتها الصوتية والتركيبية والدلالية، فالأسلوب ذو مدخل تأثيري وجمالي⁴، ومن هنا نستخلص أنَّ الأسلوبية تدرس العناصر المؤثرة في اللغة كما عرفها بالي⁵ [Bally].

فالأسلوب مادام خروجاً عن المؤلف في التعبير للأديب فهو انزياح وانحراف؛ حيث يقول سبتر [Spitzer]: "الأسلوب انحراف أسلوبي فردي عن المعيار العام"، ويقول كذلك كوهين: "الأسلوب في الشعر هو العدول عن الخطاب العام صوتاً وإيقاعاً وتركيباً ودلالة"⁶.

¹ طالب خليف السلطاني، النقد الأدبي، جامعة بابل، كلية الشريعة الإسلامية، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط الأولى، ت: 2014م-1435هـ، ص32، ويوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص84

² شكري عزيز ماضي، مناهج النقد الأدبي، ص 348 - ص 350.

³ يوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 84.

⁴ كمال بن عمر، الأسلوبية والنقد الأدبي، حدود التداخل والتمايز، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي، الجزائر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، م: 12، ع 2، ت: 15 / 9 / 2020 م، ص 1462.

⁵ عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي ص 109.

⁶ طالب خليف السلطاني، النقد الأدبي، ص34.

يعود تاريخ ظهور الأسلوبية بداية القرن العشرين في أوروبا مع بحث شارل بالي عن الأسلوب الفرنسي عام 1904م لتشهد أزهى حياتها بعد موتها بغتة سنة 1969م¹، ونذكر كتابان لشارل بالي [Charles Bally] كتاب "مبحث في الأسلوبية"، وكتاب "الوجيز في الأسلوبية"².

ثالثا المنهج السيميائي:

هو من ثمار تطوّر الدرس اللساني كسابقه ، فقد نشأ في نهاية القرن العشرين، و اصطُلح على هذا المنهج بالسيمياء [Sémiotique] حيناً و السيمولوجيا [Sémologie] حيناً آخر بإسهام أوروبي و أمريكي مشترك متزامنين نسبياً على يديّ العالم اللغوي السويسري فردينان دي سوسير [Ferdinand de Saussure 1857-1913م] و الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس [Charles Sanders Pierce 1839-1914م] ؛ إذ أنّ دي سوسير [de Saussure] بشرّ بهذا العلم الجديد، فلا تشكّل الألسنيّة ذاتها إلّا جزءاً منه قائلاً: "إنّ اللّغة نسق من العلامات يعبر عن أفكار"؛ معنى هذا أنّ السيميائيّات تخصّ علم الإشارات أو علم العلامات أو علم الدلالة ؛ إذ تساهم في كشف طرق إنتاج المعنى حسب شارل ساندرس بيرس [Charles Sanders Pierce] حتّى يشاع أنّ السيميائيّات ولدت بميلاده ، و لو أنّ دي سوسير أوّل من تنبأ بميلاد السيميائيّات ، على خلفيّة إنشاء اللسانيّات، حتّى أنّه عدّ اللّغة جزءاً من علم السيمولوجيا العام بحكم أنّ اللّغة نظام إشارات ؛ ونوّه أنّ السيمياء [Sémiotique] والسيمولوجيا [Simologie] مصطلحان منقولان عن الأصل لليونان فهدهما تصنيف علامات الفكر كما أشار إليه دي سوسير غير أنّ السيمياء إشارات ، والسيمولوجيا علم يدرس

¹ فاتح علاّف، في تحليل الخطاب الشعري، دار التّنوير، الجزائر، ط 2/ 2008، ص 79، ويوسف وغليسي، مناهج النّقد الأدبي، ص 79.

² كمال بن عمر، الأسلوبية والنّقد الأدبي، حدود التّدخل والتّمايز، ص 1459.

الإشارات كجزء من الحياة الاجتماعية حسب مخطوطة كتبها دي سوسير [Saussure] في عام 1894¹.

إذن نستخلص أنّ لغة المجتمع تفرض لغة الإشارات؛ ثمّ أنّ مثل هذا العلم قد يكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وعلم النفس²، وقد فرضت السيميائية نفسها كاستراتيجية مطورة في قراءة الخطابات الإبداعية وذلك بمنهج نقدي، ومن أمثال الذين وظّفوا السيميائية كمنهج في قراءة النصّ رولان بارت [R. Barthes]، جاك لاكان [J. Lacan] وغيرهما.

ومن بين مؤلفات السيميائية: كتاب المغامرة السيميولوجية لـ: رولان بارت [Rolande Barthes] وكتاب السيميائية والتأويل لـ: روبرت شولز [Robert E. Sholes]³.

رابعاً المنهج التداولي:

أضحى منهج التداوليّة من المناهج العلميّة التي تأتي كتمهيد للمناهج النصّية حتّى يقول عنها جورج كليبار [George Kleiber]: "تبدو التداوليّة اليوم علماً متنامياً ومجالاً رجراجاً شديداً الانفتاح" فمن مظاهر تطوّر اللسانيّات إعادة النّظر في منزلتها التداولية [Pragmatics]؛ فقد كانت مهملة سابقاً غير أنّ فلاسفة اللّغة بيرس [Pierce] و موريس [Mourris Charles] و كارنان [Karnan] أعادوها إلى الواجهة⁴، فالتداوليّة [Pragmatis] تختصّ بدراسة المعنى الذي يقصده المتكلم في

¹ عثمان موافي-مناهج النقد الأدبي، ص 186-188، وثانية لطروش السيميائية -المفهوم والنظرية-، مجلة أدبيات، م:1، ع:1، ديسمبر 2019، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، الجزائر، ص 119 ويوسف وغليسي، مناهج النقد الأدبي، ص 93.

² عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عواد علي معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ص 79، ودنيال تشاندلر، أسس السيميائية ت: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط الأولى، بيروت، لبنان، أكتوبر 2008، ص 28-29-30.

³ عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي، ص 186 و 199.

⁴ صابر الحباشة، التداولية من أوستين إلى غوفمان ل: فيلين بلانشيه، دار الحوار النشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 1، 2007، م، ص 5، وصابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سوريا، 2008، ص 23-24.

سياق معيّن بشكل غير مرئي [Invisible] أو كميّة إيصال أكثر ما يقال ،و هذا بخلفية تفسير أفعال يفترض القيام بها لإنجاز غرض معيّن أو إلى هدف معيّن¹ ، ثمّ أنّها مثل غيرها من المناهج يعني اهتمامها بالّلغة فكما يقول ف.جاك [F.Jack] : "التداوليّة هي دراسة اللّغة بوصفها ظاهرة خطائية و تواصلية و اجتماعية في نفس الوقت" .

تعود أصول التداوليّة إلى فلسفة اللّغة حيث وضع أوستين [Austin] وتلميذه سول [Searle] نواتها، ومن بين أعلامها كذلك عالم الاجتماع غوفمان [Goffman]، وغمبرز [Gumperz] وبالوا ألتو [Palo Alto]² ،ومن أمثلة المؤلّفات في التداوليّة:

كتاب التداوليّة المعرفة ل: بوسكو [Bosco] وكتاب المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ل: دو مينيك مونفاتو [Dominique maingateau]³ .

خامسا المنهج الحجاجي:

الحجاج من مواضيع لسانيات التداولية التي ظهرت في السنوات الثمانين من القرن العشرين، فإذا كان قديما قدم الدّراسات اليونانية، فهو اليوم ضمّن دراسات متعدّدة سواء ان لغويّة أو فلسفيّة أو أصوليّة. ذكرت كلمة الحجاج في القرآن الكريم ستة عشر مرّة، وذلك في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾

[الشورى: 16].

¹ جورج يول ترجمة: قصي العتّاب، كتاب التداوليّة [Pragmatics]، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الرّباط، ط الأولى، مطابع الدّار للعلوم بيروت، لبنان، 1431هـ-2010م، ص 19-ص 137 .

² فيليب بلانشية، ترجمة: صابر الحباشة، التداوليّة من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقيّة، سوريا، ط الأولى، 2007م، ص 19-ص 20-ص 18.

³ كمال أونيس، التداوليّة وامتدادها الغربي العربي، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة للشيخ مبارك ميلي، بوزريعة، م: 15، ع: 1، 2023م، ص 207

إذن نفهم من هذا أنّ الحجاج يقتضي البرهنة بنمط الاستدلال واليقين، وكذا الإقناع بالفصل بين قبول الرأي أو دحضه¹، فهو "مجموعة من الاستدلالات الموجهة لإثبات أطروحة، وتعتبر هذه النظرة دليلاً أو استدلالاً لدعم إثبات"، وهذا حسب ما جاء في لاروس [La rousse] 1966م أو بتعريف آخر هو "إشارة إلى الشكّ لأنّه يُفترض أنّ مجال الاتفاق حول موقف معيّن، ليس واضحاً بما فيه الكفاية أولاً يُفرض بالقوة الكافية"².

معنى هذا أنّ الرّيبة تدعو إلى البرهنة والاستدلال لإثبات صحّة أو كذب خطاب ما، وبالتالي فإنّ المفهوم الثّاني أقرب إلى شرح المفهوم الأوّل، وحسب شيم برلمان [Shime Berlmén] أنّ الحجاج [Argument] مناظرة بهدف إثبات قضية ما أو دحضها، وهذا ببرهان [Preuve].

تعود الدّراسات الحجاجيّة في تاريخها إلى برلمان [Berlmén] وتيتكا [Titkah] وثمّ تطويرها عن طريق فلاسفة اللغة بيرس وموريس [Pierce – Mourisse] إلى تطبيق السّلام الحجاجيّة³، الذي يؤدّي بالذهن إلى التّسليم عبر المنطق والبلاغة واللّسانيات، ومن أمثلة كتب الحجاجيّة:

كتاب منطق الحوار ل: بول غرايس [Paul Grâce]، وكتاب الحجاج والعنصريّة ل: دايك ت.أ. فان [Dyke T.A. Van]⁴.

سادسا المنهج التفكيكي:

ببساطة هي التّفكيكيّة أو ما يقابلها بالمصطلح الفرنسي [La déconstruction]، و هو مشتقّ من

¹ رشيد صنفلي: تداولية الخطاب الحجاجي، كلية الآداب واللّغات والفنون، جامعة الجيلالي الياقوت، سيدي بلعباس، الجزائر، مجلّة التعليميّة، م: 5، ع: 13، مارس 2018، ص 345 وصابر الحباشة، التداولية والحجاج، صفحات للدراسات والنشر دمشق، سوريا، 2008م، ص 16

² محمد طروس، النظرية الحجاجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ص 8 وصابر حباشة، التداولية والحجاج ص 68.

³ صابر حباشة، التداوليّة والحجاج، ص 47-23.

⁴ محمد طروس، النظرة الحجاجية، ص-ص 170.

الفعل [Déconstruire] نقيض البناء الذي يدل على فعل الهدم والتدمير، فهذا لغة، أمّا اصطلاحاً: فتدلّ (التفكيكية) على تفكيك الخطابات و النُظم الفكرية¹، ظهرت التفكيكية في منتصف ستينات القرن الماضي، فهي حركة معرفة جديدة، تعود جذورها إلى فلسفة ألمانية، ويرجع ميلادها كنقد أدبي عام إلى أكتوبر 1969م، وقد سميت بـ: ما بعد البنيوية أو ما بعد الحداثة؛ إذ أنّها انقلاب على البنيوية نفسها حسب رمان سلدن [Raman Seldan] فقد ولدت التفكيكية من رحم البنيوية على يد جاك دريدا [Jaques Derrida]²، حيث أخذ هذا الأخير مصطلح التدمير من فلسفة هيدجر [Martin Heidegger] ليتأثر بعدها بأطروحات اللسانيين وتطبيق التفكيك على ثنائيات دي سوسير [Ferdinand de Saussure] في (المعرفة واللغة)، (الغياب والحضور)، (الانتهائية المعاني والدلالات)، (فلسفة الحضور)، (التناص).... إلخ.

كان هدف دريدا [Derrida] وضع حدّ لوعي الإنسان للوصول إلى الحقيقة، والإيمان بفلسفة الغياب في قراءة النصوص وإنتاج المعنى، وهذا ما دعا إليه هوسرل [Edmund Husserl]³ ومن ثمة بدء عصر سلطة القارئ وهذا ما أكدّه بول دي مان [Paul De Man]. فلا تعتبر التفكيكية منهجاً ولا نظرية عن الأدب بل استراتيجية للقراءة، ممّا يجعلها تقوّض الثنائيات "سابقاً"، وهذا لخلق "المفهوم المفهوميّة" حسب دريدا⁴ الذي يدعو إلى الشك في كل الأفكار، وذلك عبر لغة السياق للدال والمدلول؛ لتدفع بها لانتهائية القراءة⁵.

¹ مليكة بوجفجوف، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر، التفكيكية، م: 16، ت: 29 جوان 2021م، ص 25

² يوسف وجليسي، ص 168-ص 169-ص 176.

³ سمية فالق، التفكيكية بين التنظير والممارسة، جامعة عباس لعزور، خنشلة ص 6-ص 5.

⁴ عثمان موافي، مناهج النقد الأدبي، ص 144-ص 142-ص 145.

⁵ شكري عزيز ماضي، مناهج النقد الأدبي، ص 265-ص 267.

إنّ من أتباع التّفكيكيّة رولان بارت [R. Barthes] ولوسيان جولدمان [L. Goldman]، ثم إنّ من مؤلفات التّفكيكيّة: "الكتابة والاختلاف" لجاك دريدا والتّفكيكيّة لبيير زيمّا [Pierre Zima¹].

سابعا المنهج التّكاملي:

هو منهج مشتقّ من النّظرية المتكاملة لدراسة وتحليل الأعمال الأدبيّة، فهو لا يتقيّد بمنهج واحد بل يستعين بجملة من المناهج في علاقة تركيبية بينها، انطلاقاً من أنّ النّصوص مجموعة من الظواهر المركّبة والمتشابكة ذات الجوانب والأبعاد المركّبة وقد تعدّدت الآراء والتّسميات عند النقّاد كالمناهج التّكاملي، التّكاملي المركّب، التّركيبي المتعدّد، المفتوح، اللّامنهج،... وغير ذلك من التّسميات.

إنّه ووفق الحاجة الملحة للإنسان إلى التعدّدية و الحوار، ظهر ما يستدعي الاتجاه إلى التّركيب المنهجي، و الذي يتبنّى تعددية المناهج النّقديّة، وذلك بالتحديد بكلّ ما يحيط بالعمل الأدبي، وإنّ من اقترحوا منهجاً تكاملياً ستانلي [Stanley Edgar Hyman] الذي يكون بطريقة تركيبية من خلال عدّة مناهج لدراسة الآثار الأدبية، للفهم و الحكم عليها، وإنّ من هذا حذو هايمان [Hayman] وماركس [Marx] إنجلز صاحباً المعرفة الغزيرة في كل علم، ومن ضمن الكتب التي تحدث فيها ستانلي هايمان [Stanly Hayman] عن المنهج التّكاملي: كتاب "النّظرة المسلّحة"².

وعليه فإنّه وفي ظل تعدّد المناهج التي انصهرت تحت غطاء المظلة الكبرى، صارت هذه الأخيرة (المناهج النصيّة) مرآة قادرة على قراءة النّصوص الأدبيّة قراءة داخلية، وأنّ الاهتمام بقراءة المعنى صار ضرورة جوهرية لتحليل الشّيفرات المسؤولة عمّا ورائيّة النّص.

¹ عثمان مواني، مناهج النقد الأدبي، ص 147.

² نجلاء نجاحي وفائزة زيتوني، النّظرية النّقديّة الجديدة في النّقد الغربي قراءة في مشروع: ستانلي هايمان [Stanley Edgar Hyman] مجلّة مقاليد: مج: 7، ع21442هـ-جانفي 2021م، ص 44-ص43-ص47.

الفصل الأول :الحضور النقدي والمنهجي في القراءة المرتاضية.

1. الحس النقدي والمنهجي في آثار عبد الملك مرتاض.
 - 1-1 المنجزات النقدية لعبد الملك مرتاض.
 - 2-1 المنهج والنقد عند عبد الملك مرتاض
2. التراث والحداثة في فكر عبد الملك مرتاض
3. موقف عبد الملك مرتاض من المناهج الغربية
4. إسهامات عبد الملك مرتاض المنهجية والنقدية

إنّ القراءة المرتاضية قراءات تأملية نابعة من مكامن النص وأعماقه، فمرتاضٌ كان يعيش النص بذاته، فالقراءة في نظره بديل معرفي، مما جعل الحضور النقدي والمنهجي مرتبطاً بالقراءة، فأخرجها من فحّ الانطباعية والتقليدية إلى رحاب النصية، فأعاد صياغة النقد والمنهج بفكره الواعي.

1- الحس النقدي والمنهجي في آثار عبد الملك مرتاض:

إنّ هذا الوعي لم يأت محل الصدف بل جاء من خلال تأثره بشخصيات غربية نافذة ك: تزيفياتان تودوروف [Tzvetan Todorov] وأليجر داس غريماس [Algirdas Julien Greimas] و كلود ليفي ستراوس [Claude Lévi- Strauss] وجيرار جينات [Gerard Genette] و رولان بارت [Roland Barthes] عملاً بتوجيه أستاذه المشرف أندري ميكائيل [André Mikhaïl] الذي نصحه بقراءة كتب الحداثة النقدية الفرنسية لأولئك النقاد الغربيين حيث قال: " لا تفعل شيئاً حتى تطالع هذه الكتب و تفهمها ... ثم إشرع في كتابة أطروحتك من بعد ذلك، و انتهج المنهج الذي تشاء، إن كنت من الفاعلين ..."¹.

وكان لهذه الكلمات صداها في فكر الباحث نقداً ومنهجاً؛ إذ تأثّر: تزيفياتان تودوروف [Tzvetan Todorov] وذلك من خلال ميوله إلى المنهج البنوي في مجال السرد².

انتقل الباحث من بنوية تزيفياتان تودوروف [Tzvetan Todorov] إلى سيمياء غريماس [Algirdas Julien Greimas] إذ نهل منه مبدأ التشاكل والتباين³.

واصل قراءته في الكتب النقدية من خلال دراسته لأعمال ستراوس [Claude Lévi-Strauss] وهذا في فنّ الأسطورة بمنهج بنيوي⁴، ثم قرأ ل: جيرار جينات [Gérard Genette] الذي خالف البنيويين من

¹ عبد الملك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، ص 180 .

² ينظر: ربيعة بران، تجليات المحكي العجائبي في رواية وادي الظلام لعبد الملك مرتاض، 2000م، ص 17- 240- 241.

³ ينظر: آمال شرفاوي، إبراهيم عبد النور، خطاب التشاكل والتباين عند عبد الملك مرتاض، ص 106.

⁴ ينظر: يحيى خير الله، ستراوس [Strauss] والتحليل البنيوي للأسطورة، مجلة الأناسة وعلوم المجتمع، جويلية 2019، العدد 5، ص 190.

حيث المصطلحات في الخطاب السردى¹.

تحوّل الباحث في دراسة النقد والمنهج إلى رولان بارت [Roland Barthes] الذي انتقل معه من التحليلات النسقية للنص إلى الدخول في دائرة النص المغلقة عبر البنية، ما جعل مرتاض يغترف منها ويعيش النص لذاته².

إنّ هذه المحطّات التي نهل منها الباحث كانت كافية لأنّ يضع أسساً عبر آثاره التي أودعها في عالم النقد الأدبي، فلم يقف عند حدود التنظير بل امتدّ ليصبح ذا حس نقدي ومنهجي تحدوه الصرامة للإبداع العربي، وقد تجلّى هذا الوعي في الآثار الموسوعية التي تركها لنا؛ إذ حوّل أدواته النظرية إلى إجراءات عربيّة صلبة، استطاع من خلالها سبّر أغوار النص، فكان يميل بين المرونة العالية للتنظير وانفتاحه على التطبيق؛ مما جعل آثاره مراجع أساسية صاغت ملامح الفكر الحدائى في الوطني العربي.

نذكر من بين المؤلفات التي لاقت صدى بين النقاد العرب كتب القراءة النصية والتي من خلالها أعاد للنص هيئته ك: "كتاب النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" الذي نشر عام 1983، فهو عبارة عن مجموعة محاضرات ألقيت على الطلاب³.

إنّ هذا الكتاب بعنوانه وحده أثار حسّاً منهجياً حيث كأنّ الباحث يقول: من أين نبدأ قراءة النص؟ وما نهايته؟؛ فلا نعرف إنّ كان هذا الكتاب: سؤال العنوان أم عنوان السؤال، فالباحث يرى أنّ تحليل النصوص الأدبية لُعْزُثير البداية ولا يوشك أنّ يكون له نهاية.

¹ ينظر: مداني أحمد، المصطلح السردى بين المنظور واختيارات "جيرار جينيت"، 2021، العدد 2، 6 / 520.

² ينظر: رميسة جنات عبيدة، تحولات الخطاب النقدي عند رولان بارت وعبد الملك مرتاض، مجلة الآداب واللغات، ديسمبر 2023، العدد 2، 93/9.

³ محمد سيف الإسلام بوفلاحة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، ص 110.

أفرد الباحث كتاباً آخر إنّه: " نظرية القراءة " الذي نشر عام 2003¹، حيث بيّن فيه أنّ مصطلح القراءة مصطلح حدائثي مهذب²، ولو أنّه متأصل في ذاته، يتجدّد في حدائثه.

كان طموح مرتاض تأسيس نظريّة عربيّة للقراءة، وفعلًا عُدّ هذا الكتاب صرحًا عربيًا حدائثيًا. إنّ كتاب "نظرية القراءة" لباحثنا يعتبر تجاوزًا في الخطاب النقدي لديه، وذلك أنّ دراسة النظرية في القراءة بلغة نقدية توشك أن تكون لغة الأدب³.

وسّع مرتاض آثاره بتأليف كتاب "نظرية النص الأدبي" وذلك سنة 2007م⁴، فأعطى بذلك نفسًا جديدًا لمؤسّسة النص، خارقًا بذلك المعايير التقليدية للنقد، فهو خطوة جريئة تضاف لباحثنا؛ إذ يعدّ الكتاب نموذجًا للحس المنهجي متنقلا من " نظريّة القراءة " إلى بنية النص عند القراءة ساعيًا لتأسيس نظريّة⁵.

إنّ هذه الكتب أثارت بالفعل حسًا وثورة نقدية ومنهجية على التقليد حيث تنتظر مشروع تطبيقها وفق متطلبات عصرنا.

1-1 المنجزات النقدية لعبد الملك مرتاض:

ومن سلسلة المنجزات التي لاقت رواجاً وحسّاً نقديّاً ومنهجياً بين النقاد كتاب باحثنا بعنوان " نظريّة النقد "

¹ محمد سيف الإسلام بوفلاحة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، ص 112.

² عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار القدس العربي للنشر، وهران، ماي 2022م، ص 3.

³ ينظر: علي خرزوي، سرديات الخطاب النقدي في الشعرية العربية، دار غيداء للنشر، عمان، الأردن، 2015 م، ص 186 - 187.

⁴ محمد سيف الإسلام بوفلاحة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، ص 112.

⁵ المرجع نفسه، ص 67.



"في نظرية النقد" للمؤلف الدكتور عبد الملك مرتاض

الذي شرع بنشره عام 2002 بالجزائر¹، وقد اعتبر هذا الكتاب رؤية مناهضة للفكر الغربي، فهو جوهرة دعوة واعية للتوفيق من جهة والانفتاح من جهة أخرى، حيث يقول باحثنا في كتابه: "... إن استطعنا أن نأتي ذلك بالكفاءة العلمية المطلوبة، وبالقلق المعرفي المتحفّز؛ فإننا نُوشك أن نكون بصدد تأسيس نظرية نقدية عربية تُمسي كالنظريات النقدية الغربية..."²؛ معنى هذا أن الباحث كان يهدف من خلال هذا التأسيس أن يقرأ التراث العربي بعين حدثية، وهذا بالاستفادة من النظريات الغربية لبناء نظرية عربية مستقلة بعيداً عن التقليد أو التعصّب، فحسبه أنّ الاجتهاد الذي يؤدي إلى كفاءة علمية مع شُحْنَاتٍ لا متناهية في سيرورة القلق المعرفي الذي يعطي الجديد شرط التزام قواعد الرصانة مع التحفيز العالي ينتج لنا نظرية نقدية بتفكير عربي حدثي متأصل.

إنّ الباحث كان يحمل همّ الفكر العربي الذي تنأى عن مسؤولياته ليعيش عالة على الفكر العالمي، وهذا في جميع المجالات بما فيها النقد الأدبي³، وكان يناشد الطموح نفسه قائلاً: " وإذن، أفلم يأنّ لنا

¹ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، تأملات أعمال عبد الملك مرتاض، ص 112.

² عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، دار هومة، 2005م، ص 21.

³ ينظر: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

أَنْ نطمح إلى أَنْ يكون لنا نقد نحن أيضاً، كما كان لأجدادنا الأكرمين أحسن الله إليهم؟ وإنَّ حقَّ لنا أَنْ نطمح، فمتى يَتَحَقَّقُ لنا ذلك؟ وهل سيتحقق... حقاً؟¹.

إنَّ هذا بالفعل ما كان يصبو إليه، فلو لاحظنا غلاف وواجهة الكتاب بالألوان المتناسقة نلاحظ اللونين العموديين، فاللون الأبيض يدلّ على الانفتاح على أفكار الغرب، واللون الوردي المائل إلى القتامة دليل رصيد التّراث الذي ورثناه من أجدادنا، فإنَّ المزج بين اللونين يمنحنا لوناً وردياً فاتحاً، ثم يُغيّر الفنان اللون الوردي القائم في الجهة اليمنى، واللون الأبيض إلى اليسرى ليمزج التراث العربي بالانفتاح الغربي في دائرة واحدة يغالب بينهما مستقيم عمودي يحوي عدم التقليد الأعمى للغرب دون رفض الجديد مع المحافظة على نسيج التراث، ثمَّ إنَّ ما بين الألوان أشكال هندسية ذات زخارف إسلامية تشعّ في وسطها الألوان الوردية المائلة إلى الانفتاح وإلى صفاء زرقة الألوان التي هي على شكل نجوم يحوم حولها اللون البنفسجي ما بين القائم والفتاح، وكأنَّ باحثنا يقول أنَّ هذه الضبابية والقتامة التي يعيشها عالمنا العربي في النقد ما هي إلا غمامة وستزول بيوم، وأنَّ هناك بارقة أملٍ بلون أزرق سماويٍّ لإنشاء نظريّة نقد عربية.

إنَّ هذا الكتاب يعتبر خطوة جريئة نتيجة النظرة الثاقبة وعلوّ الأفق، فالباحث كان صاحب ريادة يؤمن بالجديد حيث يصرّح أنَّ النصر أبدأً للجديد²، فهو يحوي رؤية تنظيرية في النقد العربي المعاصر، فبعد أن حللنا الواجهة الشّكلية للكتاب بنظرنا الاجتهادية، سنفصّل الآن موضوعه الذي هو متابعة لأهم المدارس النقدية المعاصرة، ورصد نظرياتها بالبحث في أصولها وجذورها وبالغوص في مدى تلاقيها وتناهيها، وعلاقتها بالتراث النقدي العربي القديم³.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 22.

² ينظر: حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحوّل مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب، ط 1، 2001/2002م، ص 25.

³ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، تأملات أعمال عبد الملك مرتاض، ص 21.

يستهلُّ الباحث تقديم مؤلفه بالتطرق إلى رباعية: "القراءة، الكتابة، النقد، المستحيل"، فحسبه أنَّ القراءة والكتابة وجهان لعملة واحدة، فالكتابة كذلك قراءة والأخيرة مفتاحها المعرفة¹، والنَّقد غَلَاب لغة، فهو لغة الإبداع الثانية، والوصول إلى غياهب النَّص ضربٌ من المستحيل نفسه، وهنا تظهر حيرة الباحث وتساؤلاته التي توحى بصدق التَّوَايا وجدية الطرح في نظرية النَّقد، حيث يقول في إحدى كتاباته التي أشار إليها حبيب مونسي: "إني اجتهدت بجهدٍ حتى لا أكتب ما أراه باطلاً"².

وعليه بتنا نؤمن أنَّ مرتاضاً صاحب قضية عربية في مجال النقد أدَّتْ غيرته إلى أن يناشد الحقيقة في طلب الصواب، فقلمه مطواع حسب ما وصفه الطاهر يحياوي³، فلزَّامٌ على الباحث المثابرة ليتوصَّل إلى اليقين وهذا ما يدلي به قائلاً: "وحسب المؤلِّف أنَّ يجاهد نفسه في طلب الحق، ونشدان الصواب، والتماس اليقين"⁴.

قسَّم الباحث كتابه إلى ثمانية فصول، فعنون الفصل الأول ب: النقد والنقاد، الماهية والمفهوم؛ إذ تحدث عن مفاهيم النَّقد في ثقافة الغربيين، كونهم يربطون النَّقد بنظرية الأدب فيقول رُمي دي كورمون [Remy de Gourmont]: "لا يوجد نقد أدبي، ولا يمكن أن يوجد، طالما انعدمت الشفرة الأدبية"⁵؛ فكلَّ كلام لا يتَّسم ب: سمة الأدب لا ينبغي للنقد أن يقرأه، فقد نشأ النقد في الغرب عام 1850م، فوظيفته

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 5.

² حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحوُّل مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب، ط 1، 2002/2001م، ص 16.

³ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 5.

⁴ حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحوُّل مقارنة تطبيقية في قراءة، القراءة عبر أعمال، عبد الملك مرتاض، ص 17.

⁵ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 24.

أشبهه بالقضاء؛ إذ يميز جيده من رديئه¹، فهو حسب أندري أكون [Andre Acoun] لغة ثانية لإبداع²، ثم تكلم باحثنا عن وقوع النقد أسيراً لنزعة الفن والعلم والاحترافية، فبعض المدارس كالشكلايين الروس أرادوا علمنة النقد وتوحيد زاوية القراءة³.

إنّ هذا مدعاة إلى تضيق وظيفة النقد، فيخرج عن الفنية بذاتها ويحصر قراءة النصوص باختلافها بتقمص النزعات الثلاثة السابقة.

ينتقل صاحب الريادة إلى الأسس النظرية للنقد عند ابن سلام الجمحي، وابن قتيبة في شكلايته وحدائته، فهذان من فحول النقاد وخاصتهم⁴، أما الفصل الثاني فوسمه ب: النقد: هذه الماهية المستحيلة؛ إذ فتح كلامه بسؤاله: ما النقد؟ فالمفهوم واقع في إشكال وليس له جواب، غير أنّه صنفان لا يستغني أحدهما عن الآخر: نقد تنظيري ونقد تطبيقي، وأنّ هناك آخر وهو "نقد النقد"، أو ما يدعوه دوبروفسكي [Serge Dobrovsky] "النقد الجديد"، رغم أنّه كان مألوفاً كنشاط نقدي لا كمصطلح، وهذا عند الإغريق والعرب القدامى⁵، كما يتحدّث الباحث عن أزلية الصراع بين القديم والجديد وأنّ التفكير النقدي قديم قدم الشعراء والنقاد⁶، وأمّا عن النقد القديم في العصر الحديث فالمعارك كانت حاسمة بين نقاد العصر الحديث كمصطفى صادق الرافعي وطه حسين⁷، ثم يعمد إلى نقد الموقفين للنقديين: التقليدي والجديد وأنّ المسألة بها خلاف كما في مسائل الفقهاء، فحسبهم أنّ الأوّل يناهز بحياة المؤلف وإعادة بعثه في النص، أما الثاني فلاشتغال بالنص من دون المؤلّف غاية الجديد⁸، وحسبه أنّ هذا الأخير يحتاج

¹ المرجع نفسه ص 25.

² المرجع نفسه، ص 28.

³ المرجع نفسه، ص 31.

⁴ المرجع نفسه، ص 40 - ص 43 - ص 45.

⁵ المرجع نفسه، ص 53.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص 56.

⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص 57.

⁸ ينظر: المرجع نفسه، ص 62 - ص 63.

إلى القراءة والتحليل، فلا ينأى خارج النص¹، ويتوجّس الآداة والمنطلق للوصول إلى شيفرات النص²، لينهي فصله بأيّ منهج سوف نحلّله؟³، أما الفصل الثالث فالنقد قائم على خلفيات فلسفية، وأنّ الكتابة تكبيل في إبداع الإنسان غير أنّ أفلاطون يعتبرها غير فعّالة في حضور الفكرة، ولذلك أضحى من الضرورة تأسيس نظرية التقويض لقراءة ما هو مكتوب⁴، وسجلال الفصل الرابع هو النقد الاجتماعي في ضوء النزعة الماركسية؛ إذ أنّ العمل الأدبي يرتبط بالمال والطبقات الاجتماعية وأنّ النقد قائم على ذوبان الفرد في المجتمع، ذلك أنّه نتاج جماعي يعبر عن طبقة اجتماعية⁵، وعلى ذكر هذه الأخيرة، فإنّ التّقد صار متعلّقاً بعلم الاجتماع الذي أسهم في دراسة النصوص⁶، أما عن الفصل الخامس فيتحدّث عن علاقة التّقد بالتّحليل النفسي أو ما أسماه بـ "التّحليل النفسي"، ذلك أنّ الإبداع حسب فرويد [Sigmund Freud] يأتي عبر اللاوعي من خلال إبداع الكاتب⁷، فباحثنا لا يقبل هذا المنهج بشكل مطلق.

يصل الباحث في الفصل السادس وباقي الفصول إلى بيت القصيد، فيوصل تحليله في المجموعة السادسة إلى علاقة النقد باللّغة واللّسانيات، فاللّغة هي مادّة الأديب، والأسلوب قوامها، واللّسانيات تحوّل النص في معالجته إلى نصيته بذاته⁸، أمّا السّابع فقد أسهب في تحليله للنقد البنوي فإنّ النص لا يكون له علاقة إلّا بنفسه وإن درسناه⁹.

¹ ينظر: المرجع نفسه، ص 64 - ص 65.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 72.

³ ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 76.

⁴ ينظر: المرجع نفسه، ص 79، ص 83، ص 87.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 102 إلى ص 106.

⁶ ينظر: المرجع نفسه، ص 127.

⁷ ينظر: المرجع نفسه، ص 142 - ص 143.

⁸ ينظر: المرجع نفسه، ص 161 إلى ص 189.

⁹ ينظر: المرجع نفسه، ص 196.

يرخي الباحث سداً الفصل الثامن بحديثه عن نقد النقد في تجربة عبد القاهر الجرجاني وطه حسين، هذا الأخير الذي رأى أنّ تصنيفات كتاباته النقدية تدخل تحت مفهوم "نقد النقد" ويظهر ذلك في مقالته: "يوناني فلا يقرأ"¹، ثم يتحدث عن الممارسة النقدية للغربيين المعاصرين ك: رولان بارت [Roland Barthes] وتودوروف [Tzvetan Todorov] اللذان يعدّان النقد لغة ثانية².

وعليه يبقى هذا الكتاب يثير اهتمام الباحثين والنقاد، فالدارس له لا يسعه إلاّ احترامه، لأنّه يحتوي على أهمّ المدارس النقدية بنظرياتها، فيقول بوفلاقة عنه: "...ويمكن أن نصف هذا الكتاب بأنّه تحفة نظرية وعملية وموسوعة شاملة رصدت أهمّ مدارسها النقدية، وناقشت نظرياتها، ولا يمكن أن يستغني عنه كل مهتم بنظرية النقد"³.

2-1 المنهج والنقد عند عبد الملك مرتاض:

إذا كنّا سابقاً قد كشفنا الهوية المعرفية لكتاب "نظرية النقد" بوصفه منجزاً نقدياً، فإنّ هذا المنجز لم يستمدّ شرعيّته الإبيستيمولوجية من مجرّد التراكم النظري بل من طبيعة الآليات الإجرائية والفلسفة المنهجية التي تحكّمت في صياغة النقد.

إنّ باحثنا في فلسفة المنهج والنقد يروم أسئلة، فلا يبدأ تحليله في أيّ كتاب إلاّ وقد مرّ على هاتين الإشكاليتين قائلاً: ما النقد؟ ... بأيّ منهج؟⁴، خاصّة ما تعلّق بالمنهج، كونه طريقاً مساعدة لدراسة التّصوص وفهمها.

¹ ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 235 - ص 236.

² ينظر: المرجع نفسه، ص 247 - ص 248.

³ محمد سيف الإسلام بوفلاقة، تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، ص 52.

⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 49 - ص 76.

إنّ المنهج ما هو إلاّ أداة ووسيلة لقراءة النص وصولاً إلى غاية الإبداع في النشاط الذهني حيث يقول مرتاض: "... أننا نريد أن نواجه النص الأدبي إمّا بأحكام مسبقة، وإمّا بوسائل تقنية جاهزة¹..." وهذا ما جعل المنهج ناقصاً بالنسبة له.

إنّ مسألة تأسيس منهج دائم أمر يدعو إلى التفكير العميق، فالمشكلة معقدة للغاية، حتى أنّ باحثنا وصفها بـ: "المعضلة العويصة التي تظلّ تواجهنا، والتي هي قائمة أمامنا...²".

هنا يمكننا تصوّر القلق الذي كان يعيشه دوماً حيث يزيد في عرض حيرته: "بأيّ منهج؟ أجل، بأيّ منهج؟ أم بأيّ من المناهج؟ بل بأيّ من اللامنهج؟³..." حتى لو سلّمنا ببعض الشيء في تحليل النصّ على أنّه قد يصاب ببعض المعيارية لكن ليس بصفة الجماد؛ فالباحث يُجيز تبني القواعد تارة، ويؤكد الخروج عن المنهج، فهو يجيزه ولا يخضع له وهذا في قوله: "وكلّ دراسة تُقام حول نص، على أصولها المنهجية المستندة إلى العلم والموضوعية الصارمة، ... لا يجوز أن تسمّى دراسة...، فإنّ رضي لنفسه أن يكون ابتداءً لمعايير جاهزة، وقواعد مكرّرة فهو مجرد كلام ممّجوج يرصف حول كلام تفترض فيه الإبداعية والشعرية⁴".

إنّ النصّ الأدبيّ الذي ينتمي بالفعل إلى الفنّ الرفيع المستوى لا ينبغي أن يُقنّن أو تؤثّر فيه قواعد مُدليّاً: "إنّ الفنّ الأصيل لا قواعد له"⁵، فباحثنا كان يعيش غربة نقدية في تطبيقه للمنهج، دون أن يعطي تعريفاً مقنناً له يكون صارماً فيه، فحسبه أنّه قد ردّد كلمة "منهج" في كتابه "نظرية النقد" حوالي ستين

¹ المرجع نفسه، ص 72.

² عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 72.

³ المرجع نفسه، ص 76.

⁴ عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟، ص 50 - ص 51.

⁵ المرجع نفسه ص 51.

مرةً بجميع اشتقاقاتها، مما يدل على أنه كان يساوره القلق المنهجي؛ إذ كان كثير التأمل والتفكير في الآليات الإجرائية التي يخضع لها كل منهج¹.

إنّ الباحث في كتاباته المبكرة كـ: "كتاب القصة في الأدب العربي القديم" يجد أنّه استعمل آداتين إجرائيتين هما: التحليل والدراسة، إذن نستخلص أنّه كان يبني منهجه على هاتين الإجرائيتين، فخطوات المنهج حسب حبيب مونسي وما ألمّ به من دراسات أنّها إمّا: "تفكيك، تشريح، أو تحليل للموضوع عند مرتاض"، فهذا التنوع من الإجراءات كان يسمح له بالولوج إلى النص حسب ما تقتضيه مؤسّسة النصية².

إنّّه وحسب الباحثين أنّ مرتاضاً كان من بين أهمّ النقاد الذين أدركوا المنهج في الخطاب النقدي، ذلك للانشغال والعمق في قضية المنهج، فكلّ كتاب إلّا وصرح بهواجسه، إزاء المنهج فيقول عنه عبد دورابح: "لا يكاد يخلو كتاب من كتبه النقدية الغزيرة من مقدّمة شافية تستوفي الإشكالية المنهجية حقّها من البسيط والدرس"³.

إذن إنّ الحديث عن المنهج في إشكاليته كان ذو وضع حساس، ذلك كون المناهج مستوردة من الغرب، فهذا ما جعل الوضع متأزماً في المشهد النقدي العربي تحديداً، فهذا سبب يضاف إلى قلق باحثنا، فتقول فاتن عبد الجبار: "إنّ الحديث عن إشكالية المنهج محفوف دائماً بالكثير من المخاطر والمطبات"⁴. لم تكتمل أزمة المنهج بعد في تفكير مرتاض، إلّا وتبعه سؤاله عن ماهية النقد، كونه ذو جرأة أدبية وثقة في الإقبال على الممارسة النقدية⁵.

¹ أميرة عمرة، أحمد عراب، تعدّد المنهج النقدي في كتابات عبد الملك مرتاض، مجلة جسور المعرفة، ع: 5، ديسمبر 2021م، م: 7 ص 342.

² حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحول، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 26.

³ عبد دو رابح، الوعي المنهجي وإشكالية تطبيقه في الخطاب النقدي الجزائري عند عبد الملك مرتاض، مجلة اللغة العربية، ع: 66، جوان 2024م، م: 26، ص 213.

⁴ فاتن عبد الجبار، الخطاب النقدي في مرايا القراءة، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، ت: 2017م، ص 43.

⁵ عبد دو رابح، الوعي المنهجي وإشكالية تطبيقه في الخطاب النقدي الجزائري عند عبد الملك مرتاض، ص 211.

النقد عند الباحث هو ذاك الرأي أينما كان هناك إبداع، فهو يهتم باستمرارية القول والعمل طالما أنّ هناك ديناميكية تفكير عند الفنان¹، كما أنّه تعليق أو حتى إصدار حكم [كما سبق]، فكما يقول: "النقد لا يعتمد إلى تحليل النص الأدبي، ولكن إلى التعليق عليه، أو إصدار الحكم عنه..."²، هذا يعني أنّ وظيفة النقد إبداء الجودة أو الرداءة في الأعمال الأدبية، فالتعليق والحكم غاية واحدة، إذ يقول عمار بن زايد: "إنّ النقد هو التعليق على الأعمال الأدبية وعرضها عن طريق الكلمة المكتوبة"³.

إنّنا لو عدنا إلى ما يُعدّه الباحث عن أنّ النقد رأيٌ فهذا يؤدّي إلى انفتاحية التفكير، وإعطاء مرونة له أكثر حتى لا يكون حكم النص بالتدمير، وإنّما مدعاةً لوجود الإنسان ومساره في الانفتاح على التفكير منذ خلقه.

إنّ النقد هذه الكلمة صغيرة الحجم غير أنّها حسب ما يقول عبد الملك مرتاض: "شديدة التعقيد، متناهية الاعتياص، غامضة الماهية"؛ إذ أنّها تُؤثّر في النص بقوة حكمها عليه، فكأنّها شديدة التعقيد كان لها صدى في اعتبارها "اللغة الثانية" بعد النص؛ إذ إنّ النقد مجال معرفي يتطوّر بتطوّر الفكر عند باحثنا في كيان النصوص، فلأنّ الإنسان كائن قديم في الوجود اقترن النقد بمساره حيث يقول عبد الرحمن التمار: "اقترن النقد بالمسار الوجودي للإنسان، مما يفسر امتداده الزمني الطويل..."⁴؛ يعني أنّ النقد في حركيّة مستمرة، كما يصفه الباحث أنّه مستعصٍ في قراءته للنص، ذلك أنّه يربطه بتكامل معرفي في ممارساته بدخوله في سياق النص، وارتباطه بالفلسفة والأنثروبولوجيا وكذا اللسانيات، وذلك كما أوّماًنا في بداية دراستنا، و أنّ النص في جوهره عميق لا يمكن تحديد اتجاهه القصدي.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 49.

² عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار القدس العربي للنشر، ماي 2022، ص 36.

³ عمار زعموش، النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهاته، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، 2000 / 2001م، ص33.

⁴ عبد الرحمن التمار، نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، ت: 1438 هـ - 2017 م، ص7.

لذا نخلص في قولنا أنّ النّقد متطوّر المفهوم ما دام أنّ الإنسان متطوّر في فكره، فلو حدّدنا حسبَ باحثنا مفهوماً له وبصفة نهائية، فلنكأنّ العقل البشريّ انتهى إلى الكمال¹.

يقسم النقد إلى نقدين: نظري وتطبيقي، فكثير من المؤلفين يميلون إلى هذا النوع من المعرفة، لكنهم لا يميزون بينهما، وذلك لأنّه لا يمكن الفصل بينهما.

إنّ الفصل بين النّقدين يؤدي إلى الانحراف عن النّقد نفسه، فهو عمارة قوامها هذا النقد النظري؛ إذ إنّ هذا الأخير علّم، فحسب النّاقدة عمارية بلال أنّه لا يمكن التّفريق بينهما، فالنّقد التّطري يهيء أرضاً خصبة لتحليل النصوص الأدبية من حيث الجانب التطبيقي².

يرى عبد الملك مرتاض أنّه بالإضافة إلى هذين النّقدين هناك نقد ثالث هو نقد النقد، وحسبه أنّ النقد النظري كونه يزوّد النقد التطبيقي بالأصول والإجراءات³، فهو تماماً ما صرح به عمار زعموش، فيقول باحثنا عن القسم الأول من النقد: "فالنقد النظري ضروري لازدهار العقل المعرفي من حيث هو ذو طبيعة تأسيسية وتأصيلية"⁴ إذن فهو يؤسّس للنقد التطبيقي الأسس المنهجية وهذا لدراسة نص أدبي أو حتّى تأويله⁵.

نستخلص أنّه لولا التأسيس للنظريات لما كان هناك تطبيق، فالغاية منهما نفعيّة تُعرّف الناقد بالنص، فما قدّم من نقد، يجمعهما الوصول إلى عمق فهم النص حيث يقول الباحث: "وغاية النّقد في الحالين تمثّل الاهتمام إلى حقيقة النص بتعبير فلسفي"⁶.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 49.

² عمّار زعموش، النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياء واتجاهاته، ص 64.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 49 وعلي خفيف، إشكالية المنهج عند عبد الملك مرتاض، مجلة المعيار، العدد: 13، ص 182.

⁴ علي خفيف، إشكالية المنهج عند عبد الملك مرتاض، ص 182.

⁵ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 49.

⁶ علي خفيف، إشكالية المنهج عند عبد الملك مرتاض، ص 183.

إنه وكما أشرنا سابقاً أنّ مرتاضاً ذكر لنا نقداً ثالثاً ألا وهو نقد النقد [Métacritique] ، هذا النوع يحوي معنى الفلسفة في التفكير العميق، وكونه يتكوّن من كلمتين [Meta] و [critique] فهذه الأخيرة تعني النقد أمّا [Méta] تعني السابقة التي هي من أصل إغريقي بمفهوم التعاقب والتغيير إلى "ما بعد " أو "ما وراء"، فيُضاف حسب باحثنا علم إلى العلم المرجو فهمه، فيَتَحَصَّص معنى في معنى آخر، فتصبح لغة النقد تتحدث عن لغة النص مما يتولّد عن ذلك لغة: "نقد النقد" أو "لغة اللغة" ¹ .

إنّ هذه اللغة الاصطلاحية الجديدة "نقد النقد" [Métacritique] قد تكون ميلاً اصطلاحياً بدافعية التطور عند الإنسان لكن الحاجة إلى معرفة النصوص له سببه، فنَقْدُ النّقد موضوع معرفيٍّ يشغل على نقد النّص وهذا بلغة ثانية بأدوات إجرائية يمكن أن تسيّر على الموضوع وفقاً لها، إذن يعتبر نقد النّقد وعياً إبيستيمولوجياً يستوجب صيغاً نظرية لها قواعد محكمة ² .

الحق أنّ نقد النقد كلمة مركبة، فيُفهم من ذلك أنّ النقد الثاني يسعى إلى نقد الأول، وذلك بِنِيَّةِ التَّنْقِيس وهذا ما صرّح به عبد الملك مرتاض، فبعد أن كان النقد موقفاً يصدر الأحكام أصبح ممارسة معرفية شديدة التعقيد، حيث يعمد إلى تحليل الظاهرة الأدبية ضمن جنسها الأدبي وتأويلها بواسطة شبكة من الإجراءات والأدوات المعرفية ضمن: الأسلوب والفلسفة والجمال والأكثر من هذا الإيديولوجيات، فكلّ هذا تماهى في فلسفة "نقد النقد" حتّى ذَرَأَ لنا نقد ثالث "نقد نقد النقد" ثم نقد رابع، فخامس... وهكذا ³ .

إنّ هذه الاصطلاحات التي غالى فيها النقاد ما كان ليُطبّق فيها نقد النقد بطريقة صريحة وفعلية بدليل أنّ باحثنا في كتابه "نظرية النقد" يقرّ بأنّ الكثير منهم يمارسون نقد النقد لكن دون أن يُدرج هذا النشاط

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 221 - ص 222.

² محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، ت: 1420هـ - 1999م، ص 11 - ص 12.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 226 - ص 227.

بشكل فعلي، ذلك أنّ النصوص عبارة عن ظواهر تحليلية تجاوزت الحدود في دراستها إلى العيش داخل النص بذاته ولذاته¹.

إذن يُفهم أن نقد النقد بلّه لا يعتمد إلى تحليل النص، وأنّه حسب باحثنا يُعلّق عليه في الغالب أو يصدر حكماً²، فناقد النقد عند إنريك أندرسون إمبرت [Enrique Anderson Imbert] هو "بهلوان النقد" لا خادماً له فنراهم يمارسون النقد دون أن يتمكنوا من لغة النص التي كُتبت بها، فإن إدراك اللّغة وطبيعتها في نسيجه يساعد الناقد في عملية النقد، فهذه من الشروط الجوهرية³.

إنّ النقد الحقيقي عند روبر كانيير [Robert Gagné] ما ينضاف إلى الإبداع ولا يضيف إليه، فإبداعية النقد نسبية⁴، حتّى أنّ الباحث يدلي على أنّه "مجرّد مظهر من مظاهر الإبداع الأدبي الخالص الأدبية"⁵. إن مجرّد التفكير أنّ النقد إبداع كامل وخارق ضرب من الخيال فهو حسب عبد الملك مرتاض ليس بفلسفة خالصة، لا فنّاً، ولا حتى إبداعاً خالصاً كما يزعم أصحاب المدرسة النقدية، وإتّما هو "نقد خالص فقط"، يستمدّ جوهرية من اللغة كما صرّح إنريك أندرسون إمبرت [Enrique Anderson Imbert] وحتيّ مع باقي العلوم الإنسانية الأخرى⁶.

إنّ رأي إنريك أندرسون إمبرت [Enrique Anderson Imbert] لا يتجاوز رأي باحثنا، فعده نشاطاً خلاقاً، فيحدث إثارة فاعلة من حيث الموضوع والشكل والأسلوب؛ أي كلّ ما يتعلق بنشاط الكاتب⁷.

¹ المرجع نفسه، ص 229.

² ينظر: علي خفيف، إشكالية المنهج النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 177.

³ إنريك إمبرت أندرسون، مناهج النقد الادبي ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ص 8-27.

⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 18.

⁵ علي خفيف، إشكالية المنهج النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 177.

⁶ المرجع نفسه ص 177.

⁷ إنريك أندرسون، مناهج النقد الادبي ترجمة: الطاهر أحمد مكي، ص 105 - 106.

نستخلص من هذا كله أنّ النقد مسؤولية تقتضي موقفاً، وإن لم يكن كذلك فلا كان نقداً حسب ما أقر به باحثنا¹، وعلى هذا لا يحتاج النقد إلى إبداع مطلق وهو ليس بعلم فلا يستحق نظريات ولا إلى مناهج لتفسير الظاهرة الأدبية حيث يقول: "النقد لا يمكن أن يصبح علماً، ومن ثمة لا يجوز استعمال نظريات العلم ومناهجه لتفسير الشعر والنثر"².

إنّنا كباحثين ودارسين لو رجعنا إلى دراسة أي ظاهرة أدبية، فإنّنا نحتاج إلى قراءة مادام النقد الحقّ وجهاً من وجوه تكملة النصّ بجودته أو رداءته، فهو يظلّ خارج النصّ لا بداخله، فالإبداع يتّسم بالقيمة الدّاخلية والجانب اللّغوي، فلهذا يقول عبد الملك مرتاض على أنّ النقد يظلّ دائراً في فلك النصّ؛ أي يعيش مع النص بشكل خارجي كونه حكماً³.

إنّ الخلاصة وما فيها أنّ القراءة هي مفتاح كلّ نصّ وكنهه، فالقراءة تعيش النصّ بتفاصيله، هنا يظهر دور المنهج الذي هو مكمل للقراءة، وما النقد فيها إلّا موقف.

إنّ مفهوم القراءة في المنظور المعاصر مفهوم جمالي نقدي، وهذا حسب النقاد الغربيين المحدثين⁴، وأمّا باحثنا يضيف على هذا أن القراءة أوسع وأعمق، فحسبه لا يوجد تحليل كامل لنصّ أدبي ما، فمهما استكشف الناقد من أبعاده وعناصره، ومكانه ومجاهله فلا تكون إلّا مجرد صورة نقدية فقط⁵، وعليه فإنّ علاقة النقد بالمنهج هي علاقة القراءة بالمنهج.

2- التّراث والحداثة في فكر عبد الملك مرتاض

شكّلت ثنائيّة التّراث والحداثة الرّهان الأبرز في المشروع المعرفي والمنهجي للباحث عبد الملك مرتاض،

¹ عبد الملك مرتاض، القراءة وقراءة القراءة خوض في إشكالية المفهوم، مجلة علامات، ج5/م4، ت: 1415هـ - مارس 1995م، ص 215.

² علي خفيف، إشكالية المنهج النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 177.

³ عمار زعموش، النقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهاته، ص 52.

⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، ص 17.

⁵ ينظر: علي خفيف، إشكالية المنهج النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 199.

فهي من أعمق القضايا الفكرية لديه، ليتحوّل تصادم الماضي بالحاضر طرحاً سجالاتاً لديه، وذلك عبّر المثاقفة الواعية التي ترفض القطيعة مع الموروث كما ترفض الاكتفاء به.

صار التراث والحداثة هاجساً معرفياً لديه، تماماً كما كان المنهج في قلقه، وكان ذلك عند ما تسجّل بجامعة السوربون، وهذا ما نلمسه حين يقول: "لقد تسجّلْتُ في السوربون تحت إشراف أندري ميكائيل [André Miquel] كان لا مناص من تغيير جوهرى وهويّتي، فكانت سنة ست وسبعين... الفترة الحاسمة في حياتي العلمية: بين التراث وجماله وعمقه وأصالته... وبين الحداثة بما فيها من ضبابية وجمال الشكل، وصرامة المنهج، ثم بما فيها خصوصاً من القلق المعرفي¹".

هذا التصريح الثقيل في جوهر الباحث يجعلنا نُؤمّنُ أنّه ولو تلوّن بجديد الغرب فلا يرجع إلّا إلى عمق التراث وأصالته؛ ذلك لُولُوعِهِ بجماله وسحره العربي، ثم لا ينفكُّ بحديثه عن الحداثة وضبابيتها رغم جمال الشكل، فهذا حسبه أنّه يجعله موضوعاً شائكاً لخضوعه لمنهج غريب الديار في وسطنا العربي، فلا يؤمن بنصوصنا، ولا نأمن بَوَائِقَهُ، ممّا يجعل الباحث يزيد من قلقه المعرفي.

سأل حسين الحسيني عبد الملك مرتاض عن الحداثة فأجابه قائلاً: "كلّ شيء يصبح حتماً بعد مضيّ زمن معين عليه قديماً، فكل قديم قبل أن يصير قديماً كان إذن حديثاً...²".

إنّ هذا التعريف عند باحثنا يكاد يضعنا في ثنائيتين متضادتين: القديم والحديث؛ وإن كان لا يقوّلها بشكل مباشر، لكن الإقبال على الحديث لا يتأسّس إلّا بعد أن أصبح ذاك الحديث قديماً، وكأنّ عبد الملك مرتاض لا يخلو تفكيره في "التراث" فهو فكر الأجداد وذاكرتهم وميراث الأمة الإسلامية، وحقيقة لا تُعميها ضبابية.

يأتي مرتاض على دِكْرِ مفهوم النّقد، فيظهر على أنّه كان موجوداً بقوة في تراثنا حيث يقول على لسان ابن سلام الجمحي أنّ النّقد "صناعة" يُطَوَّرُهَا طول الممارسة للنشاط النقدي، فكلّ من انتهج التّمرّس

¹ دردار بشير، الكتابة النقدية عند عبد الملك مرتاض، مجلة دراسات مقاصدية، ع 01، جوان 2017، ص 90.
² حسين الحسيني، عبد الملك مرتاض عن التقليد والإبداع في الأدب الحديث، مجلة الأقلام، ت: حزيران 1986، ص 110.

امتلك حنكة نقدية، حتى أنّ باحثنا وَصَفَ النّشاط النقدي عند العرب بالنّزعة الاحترافية بدليل أنّ ابن سلام الجمحي لديه كتاب في النقد بعنوان: "طبقات فحول الشعراء"¹.

هنا نعلم أنّ القديم كان عند أجدادنا محدثاً، فناوّه الغرب بتدليلاتهم الاصطلاحية كـ "نقد النقد" على أنّه حداثة، ويشيد باحثنا أنّ ابن قتيبة هو من أسّس النّقد العربي وسبقه في ذلك ابن سلام الجمحي² هذا الأخير الذي حدد شروطاً للناقد، والتي تتمثل في التجربة والقدرة على تمييز النصوص من جيدها وردئها، كما وضع أسساً للنقد من المكان والتفردية والزمان؛ مما يعني أنّ ابن سلام الجمحي كان سباقاً في المنهج التاريخي عن سانت بيف [Charles Augustin Sainte-Beuve] نفسه ذلك أنّه أورد كلمة "زمان" في النقد العربي³.

معنى هذا أنّ المسلمين لديهم موروثهم من الحضارة الفكرية المرجعية، فحسب الجابري في اصطلاحه للتراث أنّه "حصيلة الإنتاج الفكري والأدبي لأمة ما، في فترات زمنية محددة"⁴ ولو أنّ باحثنا رغم قناعاته العميقة بحضارتنا وفكرنا أبقى إلّا أنّ يُقيم الأساس على الموهبة والعبقريّة لا على الزّمن وتقدّمه⁵، وهذا وفقاً لما صرّح به للحسيني مما يجعلنا نعلم أنّه يشيد بمبدأ التّواصل من ابن سلام الجمحي [ت: 232 هـ] مروراً بالأمدي [ت: 370 هـ] والقاضي الجرجاني [ت: 392 هـ]... إلخ، إذ يوصل اللاحق بسابقه⁶؛ أي: يربط القديم كونه كان حدثاً في زمنه بالحدثيّ الآتي، فكلّ ما يخدم الفكر يأخذ به سواء كان قديماً أو حديثاً.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 33 - 35.

² المرجع نفسه، ص 36.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 38 - 43.

⁴ عبد السلام مرسل، جدلية التراث في الخطاب النقدي الجزائري، قراءة في الموقف النقدي لـ "عبد الملك مرتاض"، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، ص 22.

⁵ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 45.

⁶ حبيب مونسي، فعل القراءة النشأة والتحول مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 239.

إنّ الباحث كما أوماً بهاجسه في المنهج، أوجس صدمةً من الحادثة كون أنّ المنهج جزء من الحادثة، وهذا حين يقول: "ما موقفنا من الحادثة ¹؟..."، إنّ هذا السؤال كان إشكالاً حاسماً في مفترق الطرق بين التراث والحادثة وسط جامعة السوربون في غياهب تفكير مرتاض الباحث عن الجديد دون إهمال التراث.

إنّ مرتاضاً أوّل عهده بالحادثة الغريبة كان تحت تأثير صدمة الحادثة نفسها، حيث يقول حمزة بسو في قوله: "والصدمة تكون حال حدوث الحدث بشكل مفاجئ ومتسارع، فلا يملك لها المصدوم ردّاً، ولا يستطيع لها صدّاً، فتفاجئه لعدم تهيّئه لمواجهةها" ²، وهنا يظهر جليّاً حين قال مرتاض: "... فكانت سنة ست وسبعين... الفترة الحاسمة في حياتي العلمية بين التراث... وبين الحادثة بما فيها من ضبايئة، وجمال الشكل ³..."

نفهم من ذلك أنّ وقوع الصدمة عند الباحث كان بانبهار منه وإعجاب بكل ما هو حداثيّ، رغم توجّسه وخيفته من ضبايئته؛ إذ أنّه نعمة وبلسم يَنْشُدُ إلى كلّ ما هو جديد، فيشير حبيب مونسي على لسان مرتاض قائلاً: "إنّ الحادثة من منظورنا بلسم رحمة، ونعمة وحكمة وانطلاق؛ لأنّها تدعو إلى التّواصل المعرفي ⁴".

إنّ توجه الباحث نحو الحادثة كان بإيعاز من أستاذه المشرف أندريه ميكائيل [André Miquel]، فكان منعطفاً حاسماً في توجّهه الحداثيّ، ممّا جعله يُحدث قطيعةً مع المناهج السيّاقية؛ ذلك أنّ باحثنا انبهر بِسِحْرِ الغرب لكن بالولوع إلى كلّ ما هو جديد دون إهمال القديم.

¹ دردار بشير، الكتابة النقدية عند عبد الملك مرتاض، ص 90.

² حمزة بسو، جدل التراث والحادثة في الفكر النقدي لدى عبد الملك مرتاض، مجلة الموروث، ع 25 / 14، ص 254.

³ دردار بشير، الكتابة النقدية عند عبد الملك مرتاض، ص 90.

⁴ حبيب مونسي، فعل القراءة والنشأة والتحول مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 264.

إنّ هذا التّأثير وإن دَلَّ على شيء دَلَّ على رغبة الباحث في استقطاب الجديد للبلاد العربية بدليل أنّه كان يصف منهجه بالمنهج الجديد والحديث تارة، وباللسانياتي تارة أخرى بدليل أنّ حمزة بسو يشير إلى ما قاله مرتاض أنّه: "حاولنا دراسة نص من رسالة لأبي حيان التوحيدي بمنهج جديد ..."¹.

هنا نعلم أنّ مرتاضاً قد أخذ بالجديد، ولكن كان يرجع إلى التراث بدليل إسهابه في الكلام عن الإرث النقدي لابن سلام الجمحي وابن قتيبة وغيرهما من أقحاح الفكر، ثم أنّه اعتبر الحداثة [Modernisme] مجرد مظهر ليس إلّا، ونلمس هذا حين أجاب الصحفي حسين الحسيني عن الحداثة قائلاً: "... والحداثة في اعتقادي مظهر أو موضة ..."²، إذن نستخلص أنّه قد أخذ من الحداثة أدواتها المنهجية كونه كان يؤمن بالانفتاح نحو العالم والأخذ بمجال المعارف، وهذا ما جعل باحثنا يتحفز لجديد الغير بعقل حدائثي كون الحداثيّة صفة المنظومة القرائيّة التي تؤثّر الأدوات والإجراءات والنظريّات³.

إنّنا لو رجعنا قليلاً إلى التراث نجد عبد الملك مرتاض يقرأ من خلال النصوص البعد القومي ويعتز بانتمائه للإسلام، وذلك بقوله: "نأخذ من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقاً عملياً، فيُضاف إلى الطرائق الجديدة المستحدثة"⁴.

هنا نؤكّد القول أنّ باحثنا قد أخذ بمبدأ الاستفادة من التراث والحداثة، وذلك في حركة دائرة بين إخصاب وتخصيب يتحاور بينهما الماضي والحاضر في نسق معرفي متجانس⁵.

إنّ مرتاضاً يَتَمَتَّعُ بحسّ وقيمة الأصالة حيث كان يستفيد من البنية التكوينية للغرب ويجعل الحضور التراثي واجباً⁶، إذ كان يعيد بعث القديم إلى فكر القارئ ثم يمضي إلى شأن الجديد، فهذا عنده أصالة يعني

¹ حمزة بسو، جدل التراث والحداثة في الفكر النقدي لدى عبد الملك مرتاض، ص 254 - 255.

² حسين الحسيني، عبد الملك مرتاض، عن التقليد والإبداع في الأدب الحديث، ص 110.

³ حبيب مونسي، فعل القراءة والنشأة والتحول، ص 269.

⁴ المرجع نفسه، ص 230.

⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها

⁶ المرجع نفسه، ص 221.

دمج التراث مع الحداثة يعطي لنا أصالة حسب المفهوم المرتاضي¹، حتى أنّ جابر عصفور يأخذ منحاه قائلاً: "أنّ الحداثة لا تعادي التقاليد بل تقيم معها علاقة حوارية"²؛ مما يعني أنّه متأصل مثله مثل باحثنا، فعلاقة الحوار والتكامل بين التراث والحداثة واردة بمبدأ الاستفادة من القطبين بثقافة واعية لا يعيها إلّا المتأصلون الغيورون على قوميّتهم ودينهم على عكس بعض الذين يدّعون الحضارة دون استحضار التراث، ثم أنّ الحضارة لا تكون في بيئة ما خاصة إن كانت عربية لا يُكْمَلُهَا إلّا منطق التفاعل بين التراث والحداثة وهذا ما صرّح به جابر عصفور³، وهذا ما وعى به باحثنا عبد الملك مرتاض الذي كان مرجعه الأساسي القرآن الكريم، ونلمس هذا في عنوان كتابه: "ألف - ياء" تحليل مركب لقصيدة (أين ليلاي) لمحمد العيد آل خليفة، والذي يبدو أنّه كان متأثراً بحروف إعجاز القرآن الكريم، ولو أنّه يصرح أنّ "ألف" هي أول ما يشكّل الأبجدية العربية، وأنّ "ياء": خاتمة حروف الأبجدية⁴، غير أنّ الباحثين يبررون ذلك أنّه استمدّ العنوان من كتاب [S/Z] ل: رولان بارت⁵ [R. Barthes]، والحقيقة في مفهومنا أنّ الباحث كان يحفظ القرآن العظيم فاستقى إعجاز حروفه من جهة، وأبان غيرته على اللّغة العربية من جهة أخرى من خلال رؤيته الحداثيّة لكتاب رولان بارت [R. Barthes] وهذا من خلال العنوان. إنّنا نجد الأصالة في كتابه أيضاً الذي عنوانه: "بنية الخطاب الشعري لأشجان يمنية"، حيث قارب بين كوهين [Cohen] بنظرة حداثيّة وبين الجاحظ بنظرة تراثيّة، فما كان من السامرائي إلّا أن عارضه ووصف بأنّ كتابه مدعاة لفتنة المعاصرة، فما كان من باحثنا إلّا أن ردّ عليه بمقالة تحت عنوان: هل الحداثة فتنة؟⁶ ونحن نردّ عليه كدارسين: هل الأصالة تقوم فقط على التراث؟، ثم أنّ مرتاضاً لم يتجاوز

¹ حبيب مونسي، فعل القراءة والنشأة والتحول، ص 211.

² عبد العزيز حمودة، المايا المحدثّة من البنيويّة إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، أبريل، ت: 1998، ص 21.

³ جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيال للدراسات والنشر، ط 1، ت: 1991، ص 33 - 34.

⁴ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 68.

⁵ المرجع نفسه، ص 69.

⁶ المرجع نفسه، ص 62.

معتقداته، بل رأى التراث بعين حداثة، مما جعله متأصلاً لا يرمي نفسه وأعماله النقدية في قشور الحضارة المتبلدة آخذاً الاستفادة.

إنّ مرتاضاً يملك عينا حداثة وقلبا متشبعا بالدين والتراث مما يجعل عقله أصيلاً لا يشوبه شيء.

3- موقف عبد الملك مرتاض من المناهج الغربية:

إنّ الحداثة التي عاشها عبد الملك مرتاض جعلته يتجاوز المناهج الخارجية ليسيل حبره في المناهج النصية، فما كان له أن يكون منبهاً بالوافد الجديد [المناهج الغربية]، وما كان له لينكفيء على التراث ويرفض كل جديد؛ إذ كان يحمل فكراً متوازناً، يسعى فيه إلى قراءة المناهج الغربية بنظرة واعية.

عمد يوسف وغليسي في كتابه "التجربة النقدية لعبد الملك مرتاض" إلى قراءة تجربة "عبد الملك مرتاض" قراءة فاحصة، جعلته يستخلص مرحلتين: مرحلة التأسيس ومن ثمة التقويم والتجاوز، وقد أدلى بذلك قائلاً: «وبقراءة فاحصة لحصيلة تجربة "مرتاض" مع المناهج الحداثية الجديدة، والتي أثمرت عن ما يزيد عن عشرة كتب مطبوعة تراءى لنا أن نقسمها إلى مرحلتين: - مرحلة أولى يمكن تسميتها بمرحلة التأسيس والتجريب كان يتنازع خلالها جانبان: الرغبة في التأسيس لنموذج منهجي جديد مع اختبار إمكاناته التطبيقية بروح جديدة والحرص على عدم التفريط الكلي في الرواسب المنهجية التقليدية...؛ ومرحلة ثانية يمكن أن نطلق عليها مرحلة التخطي والتجاوز ...¹».

إنّه ووفق ما قاله يوسف وغليسي عن تلقّي الباحث للمناهج فإنّ هذه الخطوات تأخذنا إلى استنتاج موقفه إزاءها.

إنّ دخول مرتاض إلى الحداثة جعله يتلقّى المناهج النصيّة أو ما سُمّي بـ: "النصّ التحفة" الذي يقصد به دراسة النص من بنيته اللغوية التي يكمن فيها جمال المضمون والصيغة المنمقة من الداخل²، وبالتالي عاد

¹ أسامة لنصاري، فاطمة دراس، تلقي المناهج الغربية في النقد الجزائري المنهج المركب عند عبد الملك مرتاض أمودجا، مجلة آفاق علمية، م: 13/ ع: 03: 2021، ص 291 - ص 292.

² يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 46.

السُّلطان كلّ للخيال المجنّح يخلق أقصى الحدود، ولكن في فضاء بدون حدود¹، فهذا ما لم تستطع إليه سبيلا المناهج السياقية.

إنّ جمال النص وتحفته من جهة، ونصح وتوجيه أندري ميكائيل [André Miquel] من جهة أخرى جعل باحثنا يتجاوز هذه المناهج التقليدية والتي لا تعيش النص التحفة لا في المضمون ولا في الخيال، فهتان علّتان يُقاس بهما موقفه الأوّلي وهناك أيضا انخيار أبعاد تين [Hippolyte Taine] الثلاثية [التاريخية] فلا بيئة ولا زمن ولا عرق، وإنما نصية النص هي التي تعطيه حقه، فسؤال النص جودة عطائه² وما الغطاء الخارجي [المناهج السياقية] إلّا حجبُ الشمس عن نورها.

إنّ دلالة النص، وارتباط الحاضر بالغائب للوصول إلى مكنوناته أدخل مرتاضًا إلى المناهج النقدية الحداثيّة باعتبارها لغويًا يفقه المفاهيم الألسنية³.

إنّ هذه الأسباب جعلت مرتاضًا يتّخذ خطوة التأسيس الأولى، فهذه الأخيرة كانت قراءة أولية لمرتاض في المناهج كما أشار يوسف وغليسي على لسانه وهو يقول: "وإنما أنا أقرأ من هذه المناهج وعن هذه المناهج ..."⁴، فهنا نلاحظ أنّ من خلال ما كان يقرأه يؤسس لمنهج جديد، وذلك رغبة منه في الولوج إلى الحداثة، فكان يحافظ على الخصوصية المنهجية التراثية التقليدية⁵، ويمشي بإطار حدثي وداخله يغشاه التقليد، وهذه المرحلة تمثلتها كتب التراث ك: كتاب الأغاز الشعبية الجزائرية 1981م، وكتاب الأمثال الشعبية الجزائرية 1982م، وعناصر التراث الشعبي في اللاز 1987م... إلخ، فكون هذه الكتب من تراث الوطن، وأنها نصوص شعبية، ومجهولة المؤلف سهّل عليه تطبيق المناهج الحداثيّة⁶.

¹ حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحول مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة لأعمال عبد الملك مرتاض، ص 101.

² يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 46.

³ المرجع نفسه، ص 47، ص 48.

⁴ أسامة لنصاري، فاطمة دراس، تلقي المناهج الغربية في النقد الجزائري المنهج المركب عند عبد الملك مرتاض، ص 292.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، ص 292.

⁶ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 49 - ص 50.

نستخلص من هذا أنّ عبد الملك مرتاض لم يفرط في المنهجية التقليدية بل أضاف إليها الحداثة التي قرأها بشكل تطبيقي، ثم أعقبها بمرحلة التخطي والتجاوز، ذلك أنّها مثلت النموذج المنهجي¹، فصحيح أنّه في هذه المرحلة طبق المناهج الغربية لحداثتها وتجاوز بكلية المناهج التقليدية إلا أنّه لم يكن يطبقها، بل كان يوظف فقط أدواتها المنهجية وإجراءاتها²؛ يعني أنّه أخذ من كل منهج ما يريده؛ إذ كان منفتحاً بوعي، فاستفاد منها وهو يقول حسب ما يشار في مقال: "أمّا ما نودّ نحن، فهو أن نفيد من النظريات الغربية القائم كثير منها على العلم..."³؛ معنى هذا أنّ باحثنا ما كان يوماً متعصّباً على هاته المناهج، وإنما كان يأخذها بمرونة من حيث العمل بها، بدليل أنّه لما سأله حسين الحسيني عن رفض المناهج الغربية، ردّ عليه قائلاً: "أنّ نادي بتطوير أشكال النقد العربي المعاصر حتى يستطيع إضاءة السبيل للمبدعين، بما يتمسك به من الحداثة الرّصينة، وأن يلاحق الأعمال الإبداعية بكفاءة وحياد، وأن يكف هذه الانطباعية الباردة الهزيلة التي لا تفتأ تثقل كاهل الأدب وتصيبه بالأذاة في نفسه، وأن يتسلّح بالمناهج الحديثة، دون التّعصّب الشديد لإحداها، أو التّلفيق الساذج بينها، للتمكن للنص العربي من التفتح والتسامي إلى أبعد غاياته، فيرقى دون عقدة إلى صف الآثار الأدبية العالمية..."⁴.

نقول كباحثين أنّ مرتاضاً ما كان ليوم أن تصيبه عقدة الحضارة الغربية، فهذا هو بحث الشباب على الانفتاح على المناهج الحديثة وفق الرّصانة المتأنيّة، وأن يتجاوز الانطباعية البليدة ليتسامى إلى العالمية، فلا يفرط في معتقداته ولا يُفرط كثيراً في حداثتهم.

4- إسهامات عبد الملك مرتاض المنهجية والنقدية:

تتوزّع إسهامات عبد الملك مرتاض إلى إسهامات نقدية ومنهجية، ذلك أنّ مشروعه قائم على الانفتاح على المناهج الغربية دون التبعية لها مع إحياء التراث العربي وتأصيله، والآن سنتحدث من خلال دراستنا

¹ أسامة لنصاري، فاطمة دراس، تلقي المناهج الغربية في النقد الجزائري، المنهج المركب عند عبد الملك مرتاض، ص 292.

² حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحول مقارنة تطبيقية في قراءة التراث عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 269.

³ أسامة لنصاري، فاطمة دراس، تلقي المناهج الغربية في النقد الجزائري، المنهج المركب عند عبد الملك مرتاض، ص 293.

⁴ حسين الحسيني، عبد الملك مرتاض، عن التقليد والإبداع في الأدب الحديث، ص 111.

عن مجهوداته المنهجية والنقدية.

أ. الإسهامات المنهجية:

• تهجين المنهج النقدي [Hybridation des méthodes critique]:

إنّ لفظ "التهجين" يعني التّكيب والخلط، فالهجين هو عربي الأب وأعجمي الأم، وانتقل هذا اللفظ من تهجين المولود كإنسان إلى جمع المناهج في تحليل النصوص¹، ذلك أنّه تيقّن من محدودية المنهج الواحد فتبنّى التركيب في أعماله بمراحلها، نذكر على سبيل إسهاماته في إحدى مراحل التهجين جمعته للمنهج الانطباعي والتاريخي كأداة للتحليل، فمن مؤلفاته في ذلك:

"القصة في الأدب العربي القديم" و"نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر"².

• محاينة النص إلى النصية [De l'immanence du texte à la textualité]:

تواصلت إسهامات الباحث بأن قارب النصوص مقارنة آنية محاينة تتمثل النص بنية لغوية متعاقبة؛ ويقصد بذلك دراسته من الداخل، وانغلاقه على نفسه، وتمثلت أعماله في كتاب: "بنية الخطاب الشعري" 1986م، "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" 1983م، "الخصائص الشكلية للشعر الجزائري الحديث 1981م"³.

• تأصيل المصطلح [L'étymologie du terme]:

عمل مرتاض على ضبط المصطلحات وإحيائها وتصحيحها نتيجة الفوضى التي كانت قائمة بين الباحثين في الاستخدام العشوائي لها⁴، فرسم لنفسه طريق تحديات تراثية؛ إذ قرّب المفاهيم الغربية وذلل صعابها، فوظف آليات اصطلاحية بما يمنحه المعطى الفيلولوجي العربي من إمكانيات لتوليد المصطلحات

¹ متلف آسية، المناهج النقدية المعاصرة بين التدجين والتهجين: قراءة في آراء عبد الملك مرتاض النقدية، مجلة اللغة الوظيفية،

ع2، ت: 2015م، ص 264.

² المرجع نفسه، ص 266.

³ المرجع نفسه، ص 267.

⁴ حبيب بوزوادة، تجربة الحداثة النقدية في الجزائر عند عبد الملك مرتاض أمودجا، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية واقعية المركز

الديموقراطية العربي برلين المانيا ع7 ماي 2019 ص 208

كالاشتقاق والنحت والتعريب والإحياء لحل مشكلة السوابق واللواحق التي تفتقر إليها اللغة العربية مقارنة باللغات الأعجمية، باعتبارها لغات إصاكية تعتمد على نظام السوابق واللواحق [Préfixes/Suffixes] محترماً قوانين اللغة العربية وقواعدها في معظم الأحيان وخارقاً إياها في أحيان أخرى كالنسبة إلى الجمع في كلمات: موضوعاتية، لسانياتية، مستوياتية...، كما ابتدع كلمات مركبة، ومن أمثلة ذلك: "الرَّكْبَةُ" الذي يقابل به المصطلح الأجنبي [Syntagme] بمعنى: "ركب وعبر"، و"الجدْلَغَة" بمعنى التجديد اللغوي المقابل للمصطلح الأجنبي [Neologisme] و"البدْعَة" وهو مصطلح منحوت من الفعلين: "بدأ وعاد" ليقابل به المصطلح الأجنبي [Récurrence]، فهذه المصطلحات متواترة بصفة خاصة في كتابه "النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟" الصادر عام 1983م و"شعرية القصيدة - قصيدة القراءة" الصادر عام 1994م.

إنّ هذا التركيب والتوليد الاصطلاحي استند فيه إلى جملة من المعايير أهمها: المعيار المعجمي، المعيار الاشتقاقي، المعيار الفيلولوجي، ومعيار الشيوخ، بالإضافة إلى معيار الإحياء¹.
إنّ باحثنا قد صاغ كلمات أخرى مثل: قراءة القراءة [Méta lecture] الذي ابتدعها، ووَلّد لها مصطلحاً آخر هو: "قراءة - قراءة القراءة" مقابلاً لمصطلح [Méta lecture] باللغة الفرنسية².
كما أنّه طعّم مصطلحات المناهج الألسنية المعاصرة مثل السيمائية والأسلوبية مثلاً بوحداث مصطلحية بلاغية كالنسيج والضرب وغيرها³، وهذا يعتبر مزاجاً بين التراث والحداثة، فما خرج عن أصول التراث

¹ قادة عقاق، هاجس التأصيل النقدي لدى عبد الملك مرتاض بين وعي التراث وطموح الحداثة التعليمية، مخبر تحديد البحث في تعليمية اللغة العربية، 1 / 14، جوان 2024، ص 744.

² حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، منشورات المجلس، تلمسان، 2013م، ص 196.

³ عقاق قادة، هاجس التأصيل النقدي لدى عبد الملك مرتاض بين وعي التراث وطموح الحداثة، ص 745.

وأجداده، وما أخذته فضاءات الحداثة الغربية، حتى أنّ جابر عصفور يصف نزعة مرتاض بـ "النزعة التوليدية" الفريدة من نوعها في صياغة المصطلح، ثم أنّه قد كسّر جمود الترجمة للمفاهيم الغربية عبر نحت مصطلحات ذات رنين تراثي مثل: الشخصية والحيز، وهذا ما جعله مبدعاً¹.
إنّ وفي باب الإسهامات المنهجية نذكر تأليفه لـ: "معجم موسوعي للمصطلحات الأنثروبولوجية" الذي يقع في جزأين: الجزء الأول في حدود 1139 صفحة، والثاني في حدود 1192 صفحة، والمعجم "ألف، ياء"².

ب. الإسهامات النقدية:

إنّ من بين إسهاماته النقدية غير كتاب "نظرية النقد" الذي أثار حساً نقدياً، كتاب "نظرية الرواية" الذي رسّخ فيه المفاهيم الأساسية المرتبطة بالسرد الروائي، وحاول تقديم قراءة معمقة لتقنيات السرد وأشكاله دون الخروج عن الأصول العربية³.

إنّ مرتاضاً بدخوله في مصطلح السرد واستقراره في كثير من المواضع النصية، فإنه قد أرسى دلالات خاصة في مشروعه النقدي، حتى أنّ مولاي علي بوخاتم قد أشار إلى ذلك في قوله: "أثار عبد الملك مرتاض مفاهيم نقدية من شأنها أن تضيف نقلةً جديدة إلى الدراسة السردية المعاصرة، من بين هذه المصطلحات: ترجم مصطلح "السرد" عن اللفظ⁴ [Narration]، إذن هذه تعدّ من سابقاته في ترجمة المصطلحات، في حين أنّ الناقد عبد القادر بن سالم يشير إلى أنّ مصطلح "السرد" في اللغة العربية عند

¹ جابر عصفور، آفاق الناقد: وجوه نقدية معاصرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، ت: 2000م، ص 32.

² محمد حاج هني، الإسهامات الموسوعية للأستاذ عبد الملك مرتاض، جسور المعرفة، 3 / 11، ت: 2025م، ص 271 - ص 272.

³ ينظر عائشة لطروش، قراءة في أشكال السرد ومستوياته في ضوء تصور "عبد الملك مرتاض" من خلال كتابه "في نظرية الرواية"، مجلة المحترف للعلوم الرياضية والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ت: 2025م، ع 3 / 12، ص 49.

⁴ عائشة لطروش، قراءة في أشكال السرد ومستوياته في ضوء تصور "عبد الملك مرتاض" من خلال كتابه "في نظرية الرواية"، ص 52.

عبد الملك مرتاض هو: "تتابع الماضي على سيرة واحدة، ثم أصبح السرد يطلق على كل ما خالف الحوار".¹

إنّ الباحث لم يتوقف عن ترجمة هذا المصطلح [السرد] بل اتخذه كمفهوم إجرائي ليحلل النصوص الروائية²، وبالتالي طوّر مصطلح "الحكاية" ليجعله في مستوى الرواية، ذلك أنّ الرواية أشمل منها، فالحكاية متواترة بشكل شفهي، وهذا ما اعترض عليه باحثنا حين نقّده لتعريف جيرار جنيت [Gérard Genette] الذي جعل مردّ الحكاية إلى المكتوب، واستدلّ عبد الملك مرتاض أنّ أصل الحكاية في آداب الشعوب اللغة الشفوية³، أما الرواية التي هي سرد، فتقتضي اللغة المكتوبة، وإن قلنا في رأينا أنّ الرواية تشمل الشفوي ثم المكتوب، ذلك أنّ رواية أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم كانت بالحفظ ثم قُيّدت بالكتابة، ثم إنّ الباحث في مجال السرد قد أخذ بعبارتين: عبارتي "حدثني" و "بلغني"، فبرى صيغة هذه الأخيرة [بلغني] يصف بها "السرد الألفلي" أي استعملها في «ألف ليلة وليلة»، ومال بالخصوص إلى صيغة "حدثني"، ذلك أنها تمثل المرويات القديمة: "حدثني فلان عن فلان"، فحسب باحثنا يرى أنّ عبارة "بلغني" تميل إلى الانفتاح.. أمّا "حدثني" فهي تسرع إلى الانغلاق، فرغم تقارب العبارتين إلا أنّهما تختلفان في المعنى الضمني، وهذا بين الإبداع والتقليد⁴.

إنّنا نورد المعنى في عبارة "حدثني" بالصدق دون التأويل، وكأنّ مرتاضاً يميل إلى توثيق الأعمال متأثراً بأصول الحديث، ومنفتحاً على الخيال بعبارة "بلغني"، وقد وظّف مرتاض الشخصيات والحيّز والزمن والحدث والحبكة واللغة التي لا يمكن الاستغناء عنها، باعتبار أنّ هذه العناصر هي أساسية للبنية السردية⁵،

¹ المرجع نفسه، ص 54.

² المرجع نفسه، ص 53.

³ المرجع نفسه، ص 55.

⁴ المرجع نفسه، ص 57.

⁵ عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، ديسمبر 1998، ص 75.

ومما نتذكره قبلاً في دراستنا أنّ ابن سلام الجمحي قد جعل من الزمن والمكان ركنين أساسيين للنقد¹، وعليه فإنّ باحثنا قد زاوج بين التراث والحداثة، فهذه الأخيرة نلمسها في توظيفه لمصطلح "الحيز" بدل المكان، وليس "الفضاء" الذي يشيع في الكتابات النقدية العربية المعاصرة، فالحيز يحدد وزن وحجم وشكل الرواية، أمّا "المكان" فيحدد "الأين" بظرفية المكان لا أكثر باعتباره فضاءً².

إنّ الباحث قد أثرى المكتبات النقدية والجامعات العربية بهذا النوع من المؤلفات، وكأنّه كما كان يطمح لنظرية خالصة في النقد، أرخى عنان قلمه ليضع "نظرية للرواية العربية"، وكأنّه يتيمّن بروايات الصحابة والتابعين في نقل الأحاديث الشريفة.

إنّ هناك إسهاماً آخر ألاّ وهو كتاب "السرد والسردانيات" الذي يمكن أن ندرجه ضمن واحد من أهمّ الدّراسات النقدية التي كشفت عن القضايا المهمة للسرد، وذلك من خلال حديثه عن سرديات مغربية، جزائرية، يمنية، فلسطينية، إماراتية، سعودية، وسرديات عربية أخرى، ثم كان دائماً همّه الوحيد الحديث عن "المنهج" في تحليل الروايات، ويبرز وظائف سردية إلى الحكاية الخرافية، كما تظهر جهود باحثنا في تحليل النصوص السردية بطرق مختلفة³، مبينا أهمّ النظريات العربية المعاصرة.

إنّنا ومن خلال تجوالنا في محطات الفصل الأول يخلص بنا القول أنّ عبد الملك مرتاض قد أسهم بمجهوداته الفكرية النقد الأدبي واللغة العربية، وذلك بمؤلفاته الجمّة، فقد رسّخ للقراءة في النقد وما بعده، وانفتح على الحداثة الغربية بوعي تامّ خادماً التراث بتطويره، مؤكداً امتداد هويته وقوميّته، وتتجلى هذه الرؤية بوضوح في كتابه "نظرية النقد" الذي أثار به حسّاً نقديّاً ومنهجياً عالياً، تجسّدت هواجسه المستمرة من خلال البحث عن المنهج البديل، ولو أنّ المنهج في نظره متجاوز عنه، بدليل أنّه أورد كلمة منهج في كتابه ستين مرة، فصحيح أنّه كان قلقاً، لكن يُفهم من خلال هذا العدد أنّنا كمسلمين عندنا منهج

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 38.

² عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، ص 121.

³ محمد سيف الإسلام بوفلاحة، السرد والسردانية: قراءة في جهود عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السرد، مجلة إحالات، ع1/م5، ت: جوان 2023 م، ص 56.

واحد ألا وهو منهج القران الكريم الذي لا نُحِيدُ عنه، وما تبقى عند الانسان وَضَعُ يمكن تجاوزه والتعديل فيه ، ما جعل مرتاضاً يتجاوز النقد القائم على الحكم المعياري كقالبٍ جاهز جامد ليرى المناهج كقراءات حفرية تبدع في استنطاق النص وهويته.

لذا سنحاول في الفصل الثاني عرض أهم المناهج الغربية الحديثة، مع استخلاص آفاق مشروعه، وتبيان مدى تطبيق تلك المناهج على النصوص العربية وفق نظريته.

الفصل الثاني: المناهج النقدية في أعمال عبد الملك مرتاض

1. المناهج:

أولاً: المنهج البنوي.

ثانياً: المنهج الأسلوبي.

ثالثاً: المنهج السيميائي.

رابعاً: المنهج التفكيكي.

2. آفاق مشروع عبد الملك مرتاض.

3. المنجز المرتاضي بين النظرية والتطبيق.

تمهيد:

إنّه ومن خلال دراستنا للفصل الأول بشكل نظري في تفكير عبد الملك مرتاض، سنحاول في الفصل الثاني دراسة المناهج بشكل تطبيقي، وفقاً لما تحدث عنه في كتابه «نظرية النقد»، وما أرهص به في دراسات له غير نظريته.

إنّ مرتاضاً قد أسرى قلقه المنهجي في جلّ مؤلفاته، فما كانت له بداية في صفحة أو صفحتين إلّا وسأل عن المنهج، فلا أرهف نهاراً، ولا أوكأ ليلاً في محرابه إلّا وتلايب تفكيره فيه، ثمّ إنّه إزاء ولوجه إلى عالم الحداثة دخل المنهج بطوابعه، فحسب عبد الله قيدوح تحوّل الباحث من عالم الانطباعية إلى المؤسسة المنهجية، فهذه الرؤية اللسانية المعاصرة كانت الفاصل بين سياقاته الخارجية وكيئونه النص¹، ولذا سنتحدّث عن أهمّ المناهج التي استحدثتها من الغرب، ونذكر أعمالاً له طبّقها عليها.

1. المناهج:

إنّ من بين هاته المناهج ترتيباً:

أولاً: المنهج البنوي [Structuralism]:

يُشاع عند كثير من النقاد مصطلح "البنوية"، غير أنّه عند باحثنا يختلف الأمر نحواً، ففعلة المضارع "يني" واستعماله بياء النسبة «بِنِيَّة» على قياس كلمة «فَتِيَّة»، «فَتِيَّي»، ولثقل الياء يُقال: "بنوي"، ولاقتصاد اللّغة وخفّة النطق يرى باحثنا مصطلح «بَنَوِيّ» أحسن، فهو ينحو منحنى يونس بن حبيب، ويذهب إلى الاختيار الثاني حسب سيبويه للسبب السابق نفسه².

¹ عبد الله قيدوح، الاتجاهات النقدية المعاصرة في الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو، ط1، ت: 2007م، ص248.

² عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 190-191.

هنا نعلم علم اليقين أنّ مرتاضاً يتقن مدارج اللغة فهو نحوّي فُحّ؛ إذ تقول فيه نصيرة شيادي أنّه يتميّز بتحليلاته اللغوية الدقيقة، وهذا ما كان عليه حقاً.¹

يعطي باحثنا بعداً معرفياً للمصطلح «بنوية» كونها مدرسة فكرية تقوم على مجموعة من النظريات، فتدرس بنية اللغة وتحللها وترفض الإنسان²؛ معنى هذا أنّها تدرس بنية النص بصفة مغلقة، وهذا ما جعله يتجه هذا المنهج الذي لا يدرس إلّا عوالم النص، كون أنّ النص لغة.

لقد افتتح الباحث بوابة الحداثة في الخطاب النقدي الجزائري بتجريبه للبنوية، وهذا ما شهد له شريط أحمد شريط في قراءة إحصائية له حول: "النص النقدي الجزائري من الانطباعية إلى التفكيكية".³

لقد ظهرت إرهابات للأدب البنوي مماثلة للنقد البنوي، ثائرة على التقليد الجمالي الكلاسيكي القديم رافضة له، وهذا كان في فرنسا، فقد اهتمت الحركة الأدبية الجديدة بالشعر والرواية والنقد مع حسن التعامل للنص.⁴

إنّ ما يجعلنا نؤمن أنّ مرتاضاً قد اتّجه هذا المنحى في البنوية كونها تتّجه إلى نزعة التحليل التي ترمي حسبه إلى العناية باللغة الأدبية وصولاً إلى مفتاح المضمون كدراسة للنص، دوناً وبعيداً عن كلّ مؤثر خارجي عنه⁵، وهذا ما تشير إليه صليحة بردي في قول مرتاض: "فلا بيئة، ولا زمان، ولا مؤثرات، ولا هم يحزنون، وإنما هو نص مبدع نقرأه، فهو الذي يعيننا، وهو الذي ندرسه، ونحلّله بالوسائل العلمية، أو الوسائل الأقرب ما تكون إلى العلم".⁶

¹ نصيرة شيادي، العلامة عبد الملك مرتاض لغوياً، 17/2، ت: 2025م، ص 593.

² عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 192.

³ صليحة بردي، التجريب البنوي في الخطاب النقدي عند «عبد الملك مرتاض»، جامعة الشلف، ص 182.

⁴ عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة البنوية، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدة، 7/29، ص 8

⁵ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 194

⁶ صليحة بردي، التجريب البنوي في الخطاب النقدي عند «عبد الملك مرتاض»، جامعة الشلف، ص 182-183.

إنّ هذا التصريح المباشر له يَرنو على أنّ باحثنا هو عَرّاب هذه المرحلة [مرحلة المؤسّسة المنهجية]، فكونه يعلن بإشارة من قوله: «النص ولا شيء غير النص»¹، وهذا حسب ما أوفد به حاجي عبد الرزاق، فإنّ مرتاضاً ما دام اختار النص، فإنّ الإبداع فيه، وليس خارجه، والبنوية تقوم على التحليل لا على التقويم، ودراسة المؤسّسة في مضمونها تُكنّهُها وسائل علمية، أو أقرب إليها بداعي الأدبية، فالأدب فنّ أثّث بوسائل بنيوية، فعلم التحليل قائم على المستوى الصوّتي، والصّرفي، والنحوي، والمعجمي، والدلالي وحتى المستوى الرمزي²، وهذا ما عمِل به من خلال أعماله؛ إذ كان موقناً أنّ البنوية تشتغل بتطوّرات حضارية ضمن لغة النص، فقد دعت [البنوية] إلى استقلالية الأدب، وهذا ما دعا به رولان بارت [Roland Barthes] من تحليل النص بالقواعد، والتقنيات التي يجب أن تفضي إلى حريّة التفكير، والتّخيل معاً³، فهذه حسب رأينا من سمات الإبداع ما لم تُخلّ بالتّفكير الإيجابي الداعي للقيم الدينية؛ فكلّ شيء في الألفاظ لا خارجها، وهذا ما صرّحت به ناتالي ساروط [Nathalie Sarraute]⁴ وعمل به عبد الملك مرتاض في قوله: «أنّ الأدب ليس إلّا لغة بحيث لا شيء يوجد خارج الألفاظ، بل ولا شيء يسبق وجود هذه الألفاظ»⁵.

يبدو أنّ باحثنا اتجه نحو منحنيين: منحى حدائقي وتراثي؛ إذ في مستوى الحداثة أخذ بمنحى فاليري [Paul Valéry 1871 - 1945] الذي يرى أنّ الأدب موضوعه الأدب نفسه، فكلّ نصّ إبداعيّ آخر موضوعه الأصليّ تخليد له، فبالتالي لا يكون النقد جبّاراً، ولا ينبغي له أن يكون متسلّطاً بأحكامه⁶؛ يعني هذا أنّ فاليري [Paul Valéry] يتجاوز النقد بدعوى الإبداع النصّي، وهذا ما

¹ حاجي عبد الرزاق، النقد الجزائري من انغلاق السياق إلى انطلاقية التسق، عبد الملك مرتاض نموذجاً، مجلّة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، م4/ع2، جوان: 2021، ص164.

² طالب خليف السلطاني، النقد الأدبي، ص 69.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 205.

⁴ المرجع نفسه، ص 216.

⁵ المرجع نفسه ص 196.

⁶ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 197.

أخذ به عبد الملك مرتاض، وأمّا عن المنحى الثاني فقد أخذ باتجاه النقاد والبلاغيين العرب القدماء الذين عنوا بمسألة اللفظ والمعنى ك: بن طباطبا وابن رشيق وغيرهما، فهذا الأخير يربط اللفظ بالمعنى في قوله: "اللفظ جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم، يضعف بضعفه، ويقوى بقوّته..."¹، إذن ندرك أنّه مزج بين الحداثة والتراث.

إنّ البنوية حسب ما يرى عبد الملك مرتاض تعامل اللّغة وحدها معاملة حداثيّة، غير أنّها تتجاهل المعنى تماما²، وهذا ما أقرّ به في قوله: "وإنّ النقد البنوي عوض أن يتيه في فكّ الشفرات نُلفيه ينطلق مباشرة إلى إثارة الأسئلة عن مغزى النص غير متوقف لدى الممارسة الشكلية الخالصة التي ليست في الحقيقة نقداً أدبيّاً، إنّ دراسة الأدوات التي تمثل الأشكال، أو تفضي إليها، أو تكون علة في وجودها، لا تستطيع أن تجعل منها ذات مدلول جامع"³.

إنّ العناية بالشكل في النص عندهم لا يوصل إلى المعنى؛ أي لا يتعلق الدال بالمدلول، ولو أنّ الأصل في بنية النص اللفظ والمعنى أي: أنّ الدال والمدلول بينهما علاقة تلاحم دون الفصل بينهما. إنّ البنوية صحيح أنّها قد عنت باللّغة لكنها رفضت معنويتها رغم أنّها قد تأثّرت بفكرة الجاحظ الذي يطرح فكرة المعاني وما لها من أهمية، وظلّ البنويون على ضلالتهم في خروج المدلولات عن دائرة اللّغة⁴، رغم يقينهم أنّ المعنى هو الأساس بدليل أن عدّوا ابن قتيبة من أقحاح ومؤسّسي البنوية، وهذا ما أشاد به باحثنا.

إنّ رغم الطرح البنوي المغاير للتراث والحداثي في آن واحد لا يجعل مرتاضاً إلّا وقد أخذ مفاهيم في

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 217

² المرجع نفسه، الصفحة نفسها

³ عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة البنوية، مجلة علامات، م/8، ج/29، ت: سبتمبر 1998م، ص 14 - ص 15.

⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 219.

البنوية الغربية ك: مبدأ المحايثة، الذي يكون بمعزل عن مؤثرات التاريخ والسياقات الخارجية الأخرى؛ أي دراسة النص لذاته وفي ذاته، كما اتخذ مبدأ البناء للوصول إلى الإبداع التام¹.

إنّ تفكيك عناصر النص ثم البناء يؤدي إلى الانسجام المتجدّد للنص، وحتى الكشف عن دلالات النص بمختلف المستويات اللغوية²، وهذا ما جعله يستفيد من ذلك، ثم أنّه أصّل للمضمون وفقاً للتراث، وأحدث الشكل اللغوي وفقاً للبنوية، وهنا نقول أنّه لم يتجه لها بصفة آلية، بل عاجلها، حيث يقول: «نعالجها... دون أن نقع لا في فخ البنيويين الرافضين للإنسان والتاريخ والمجتمع إلّا حقيقة اللغة الفنيّة من حيث هي سطح قبل كل شيء»³، إذن هنا نحصل على تمام العلم لما قاله مرتاض من الأخذ بالبنوية لكن بأخذ ما أمكن من إجراءاتها [كما سبق ذكره] دون الوقوع في آلياتها العمياء التي لا تراعي لا الدين ولا التاريخ ولا حتّى المضمون.

وبالتالي نقول أنّ مرتاضاً كان ذكياً في المنهج حيث أصّل للمضمون وفقاً للتراث بأفكار ابن قتيبة الملقب بـ: "أبي البنوية"، وأخذ بالشكل اللغوي وفقاً للحدثاة البنوية، وحتّى التّراث كذلك، فأسّس للتراث على شكل مَوْضَا، فهو يعتبر أنّ اللغة تكشف النص في بنياته الداخلية، وهذا من حيث التّحليل.

إنّ من بين أعماله الإبداعية التي طبّق عليها المنهج البنيوي: "عناصر التّراث الشعبي في اللاّز"، حيث حلّل المضمون⁴.

¹ ينظر صليحة بردي، التجريب البنيوي في الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 184 - ص 185.

² المرجع نفسه، ص 184.

³ عبد الملك مرتاض، ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ت: 1993م، ص 10.

⁴ عبد الملك مرتاض، عناصر التّراث الشعبي في اللاّز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ت: 1987م، ص 36.

ثانيا المنهج الأسلوبي:

ويسمى بالتأنيث "الأسلوبية"، وقد أشار إليها طالب خليف السلطاني حيث أورد على أنّ الأسلوب لغة هو السطر من النخيل، ومادام أنّه يحوي سطرًا فيقتضي نظاماً معيناً، وعليه فإنّ الأسلوب هو التّهجّ اللّغوي الذي يشتقّه الأديب لنفسه في خضمّ المادة اللّغوية المتراكمة¹، إذن الأسلوب طريقة ما دام أنّه تَهَجّج، وهذا ما جاء به مرتاض في حقل المعرفة الأسلوبية حسب ما أشارت إليه بن قرماز في قوله: "الأسلوب، الأسلبة، الأسلوبية، الأسلوبية، وما شئت من هذه المصطلحات والمفاهيم إنّها كلّها بمقدار واحد ما تتعدّد فإنّها كلّها تعني الطريقة التي يكتب بها الكاتب الأديب"²؛ معناه أنّ الأسلوب سطر الطريقة كما هو في النّخيل بما يتوجّه الأديب به في منهج الكتابة.

عدّ بعض الباحثين على أنّ مرتاضاً من أبرز الباحثين العرب المحدثين في البلاغة والأسلوب³، ولو أنّنا نقول العكس، فمرتاض حدائث متأصّل، فنعلم أنّ الأسلوب من أقدم المناهج العربية، فهو اللّغة الجمالية عند الشعراء وأقحاحهم، وعليه فإنّه لا ريب أن يكون من أعلمهم به كونه يؤمن بجمال الإبداع، والأسلوب من القيم الجمالية المطلقة، فقد عدّه جمالاً وفناً وربّطه باللسانيات كونها علماً⁴. تعدّ اللغة حسب مرتاض البحر الذي لا تنضب أمواهه، إذ هو حبر جار عبر فكر رخيّ بأصوات كريمة عبر نظام لغوي⁵، وعليه فإنّ اللّغة سَطْرُهَا الأسلوب، إذ يعرفه باحثنا بـ: "الصّورة العمودية

¹ طالب خليف السلطاني، النقد الأدبي، ص 31.

² طاطة بن قرماز، جماليات الأسلوبية في التفكير النقدي عند عبد الملك مرتاض، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ص 90.

³ المرجع نفسه، ص 89.

⁴ المرجع نفسه، ص 92.

⁵ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 162.

الشكل، وفق قالب تعبري يحمل المظهر الجمالي¹...".

نعني بهذا أنّ الأسلوب هو العمود الفقري الذي يحمل جمال اللغة، ويزيد عليه أنّه ذلك التّجارب الفني المتبادل بين اللغة من جهة، والمبدع واللغة من جهة أخرى².

إنّ اللغة عطاءً قائمٌ، وسخاءً دائماً، والأسلوب هو الكيفية الجمالية التي يختارها الأديب ليصوغ بها مادّته اللغة المعطاء³.

إنّ المنهج الأسلوبي منفتحٌ على المناهج الألسنية الأخرى، ففيه سمّة المرونة، إنّهُ يتّفق مع رؤية اللّامنهج، بما أنّ الأسلوب قديم يقوم على اللغة ووجه الأديب، فقد تبّنى مرتاض هذا ليصل إلى أعماق النص من: تركيب وإيقاع ودلالة... وغير ذلك؛ إذ يقول مرتاض في هذا الشأن: "يجب أن تنصرف عنايته إلى الكشف عمّا في نسيج النص من جمال فني"⁴.

إنّ دراسة النّسيج الجمالي للنص يكشف أسلوبه، فصحيح أنّ الأسلوبية مصطلح حداشي غربي، غير أنّه يتعلق بالبلاغة، وهذا قديم عند العرب من حيث الاستعارة، فهي باب مألوف الخروج عن المعاني، حيث وظّفها الباحث ك: "انزياح" بقصد تحديد الأفكار وتوسعتها، مما جعله ينشط اللغة السردية ليُثري طابع الإبداع⁵، فمن تطبيقاته على الأسلوب: "رواية حيزية" التي اتّسم فيها مرتاض بلغة الوضوح، ومال إلى أسلوب التكرار والحوار⁶.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 164.

² المرجع نفسه، ص 165.

³ المرجع نفسه، ص 166 و 167.

⁴ عبد دو رابح، الوعي المنهجي وإشكالية تطبيقه في الخطاب النقدي الجزائري، عبد مرتاض، ص 218.

⁵ ينظر: عبد الملك مرتاض، أثر الانزياحات في تنشيط اللغة السردية، الاستعارة واللغة والإبداع، مجلة الكلم، ع: 2، ص 4-6.

⁶ سمية خريش، الثراء الأسلوبي في رواية حيزية لعبد الملك مرتاض، مجلة اللغة الوظيفية، 5/2، ص 325-334.

ثالثاً: المنهج السيميائي [La Sémiotique]:

لقد عنى الباحث بالسيميائية عناية باعتبارها قرينة باللغة، كون أنّ اللغة سمة الإشارات، فالسيميائية آتية من تركيب [س و م] التي تعني العلامة التي يُعَلِّمُ بها شيء ما، وقد جاء لفظ السيمياء بالقصر، والسيماء بالمد، والسيميائية بإضافة ياء قبل الألف وبعد الميم، وقد اصطلح منظرو السيميائيات العرب مصطلحهم المعروف تحت عبارة «السيميائية» بإضافة الياء الاصطناعية باصطلاح النحاة العرب، ويمكن القول حسب عبد الملك مرتاض التلغظ بمصطلح: «السيميائية»، وهي الأَخَفُ لفظاً حسب¹، وإنّه على اعتقادنا أنّه خفة لفظية تلفي طراوة على اللسان، وتعطي للغة "مرونة"، فالسيميائية بدون ياء ارتفاع قَدْر علامة السِّمة وتبيان المعاني، فقد عدّها نظرية كونها تميل إلى القراءة بصفة كلية ولو على حساب إجراءاتها²، ولهذا اتجه باحثنا إلى سيمياء القراءة، وعدّها علماً للمعاني حيث قال: «تتطلّع السيميائية اليوم إلى تبني نفسها بما هي علم للمعاني»³، ويُرجع مرتاض هذا العلم الحدائثي إلى دوسوسير [Ferdinand de Saussure] الذي كان يعني بدراسة السّمات، ناهيك عن شارل بيرس [Charles Sanders Peirce] الذي يعدّ أكبر المؤسسين لعلم السمة وفلسفتها⁴. إنّنا نلاحظ أنّ السيميائية تُعنى بفكّ الألغاز اللغوية، مما يجعلها تمتدّ إلى تحليل شفرات الخطابات الأدبية، أو ما يطلق على هذه الأخيرة "السيميائية الأدبية"⁵، ممّا جعل الكثيرين يتجهون إلى سيمياء الأدب، ومنهم باحثنا.

¹ عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيميائيات، مجلة "المجتمع الجزائري في اللغة العربية"، م 18 / ع 18، ت: 2005 م، ص 40 - ص 41.

² ينظر: عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 31.

³ عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيميائيات، ص 41.

⁴ المرجع نفسه، ص 45.

⁵ ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

إنّ توجّه مرتاض إلى هذا النوع من القراءة في المناهج يجعلنا نفهم أنّه كان يؤمن بـ: "سِمَة اللفظ" في مدلوله، وكلّ جزء من كلمة إلى كلمة تعطي نظاماً نوّول به نصّاً، نرتأّد به إلى قراءة حدسية، إذن نلاحظ أنّه قد اتجه اتجاه ميشال أوتان [Michel Otten] الذي يؤمن أنّ لكلّ قارئ عالمه الخاص في القراءة، والسيما تعطي الحرية في النسيج بما أنّ اللغة بحر أمواجه لا تنضب أبداً¹، وهذه نفس الأفكار التي يحملها باحثنا، فالسيما إحداثيات ملوّنة، تجعل القارئ في رحلة لا ينبغي العودة منها إلّا بفهم أعماق النص.

إنّ السيمائية في مفهومها ترتبط باللغة، واللّسانيات، فانتشرت في النصوص الأدبية لما لها من قدرة فكرية وبراعة منهجية فاقت كلّ اهتمامات أصحاب الحقول الأخر من العلوم...²

إنّنا لو لاحظنا السيماء، نعلم أنّها إشارات، لكن هاته الأخيرة تخرج إلى الانزياح في ضرب من التباين من بنية الكلام، وهذا حسب ما أشار إليه عبد الملك مرتاض على حدّ ما قال به غريماس [Algirdas Julien Greimas]: "وُجُودٌ لفظين وعلاقة بينهما" وهذا ما يسمّى بتركيب التباين.³

إنّ هذا يفهمنا أنّ باحثنا قد عمل بثنائية الدال والمدلول لدوسوسير [Ferdinand de Saussure] مقابلاً إياها بثنائية اللفظ والمعنى عند أجدادنا، ثم مبدأ الانتشار بعد الاستفادة من كلا الوجهين لبحث في البنية السيمائية لتحليل النصوص⁴ مؤثّراً بذلك عامل الحداثة.

إنّ الدارس منّا لكُتِبَ عبد الملك مرتاض يتيقن أنّه أعطى السيماء وجودها، وهذا في تبيان قوله:

"إنّ مسعانا يندرج ضمن هذا المفهوم الجديد للتعامل مع الإبداع؛ أي لن يكون مسعانا إلّا من

¹ ينظر: حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحوّل، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 61.

² عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيمائيات، ص 46.

³ عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيسات النظرية العامة للقراءة الأدبية، دار القدس للنشر، ماي 2021، ص 128 - 129.

⁴ حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحوّل، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 61.

أجل ترسيخ مفهوم القراءة بالمدلول السيميائي¹.

إنّ هذا دليل على أنّه ميّال إلى السيماء؛ إذ تعطيه حرّية في الغوص في عالم النص بأريحية، ذلك أنّ سلطان النصوص لغة الإشارات، فالسيماء حسب عبد الملك مرتاض تنبني على أربعة مفاهيم هي: الأيقونة، القرينة، الرمز، الإشارة، فهنا نلاحظ أنّه أخذ مفاهيمها التطبيقية بما يلائم البيئة العربية، وكون هذه المفاهيم لها جذور مترسخة في التراث فمثلاً: الأيقونة [Icon]: هي علامة تحيل على الموضوع، بناءً على خصائص الموضوع ذاته، أمّا القرينة [Indice] فأبدلها بـ: «العلية» التي لها علاقة مباشرة بالموضوع فتوصل إليه، أمّا الرمز [Symbole] فعنده يتّخذ أشكالاً ذات رمزية الشجاعة، والعلم وما غير ذلك، أمّا الإشارة [Le signal] عنده فهي مجال سيميائي شاسع، قد تكون غير طبيعية سواءً بإشارة البصر أو الصوت²، فهذه حسب مفاهيم سيمائية، واتخذها مرتاض كأدوات تحليلية، فلم يطبقها بمصطلحاتها لكنّه قد عمّل بمُماثل اصطلاحاتها التراثية، وهذا بتطبيقها على النصوص، فهو لديه أنّ السيماء أفهوميّة ذات معانٍ، وهذه النظرة نجدها عند دانيال تشاندلر [Daniel Chandler] الذي يدلي على أنّ السيماء أفهومية أو أسمانيّة إزاء الواقعية؛ أي تدخل في

مفهوم الواقع بشيفرات منظوميّة تُوغّل في النص لتفكك علاماته.³

نذكر من بين تطبيقاته على السيماء "رواية عين التينة"، حيث تجلّت في شخصياتها ذات الرّمزية في علاقات الانفصال بين "المعلم والزوج"، والاتصال بين "المعلم والتّعليم".⁴

¹ طارق ثابت، عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي المنهج السيميائي نموذجاً، مجلّة الأثر، ص 208.

² مباركية عيسى، الخطاب النقدي السيميائي لدى عبد الملك مرتاض، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، مج 2 / ع 1، ت: جانفي 2021 م، ص 406 - 407.

³ دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ص 22 - 24.

⁴ فاضل حاج علي، محمد بشير بويجرة، سيمائية الشخصيات في رواية «عين التينة» لعبد الملك مرتاض، مج 18 / ع 1، ت: 2022 م، ص 72.

رابعاً المنهج التفكيكي [La déconstruction]:

يُعدّ هذا المنهج من أبرز المناهج الحديثة التي جاءت ما بعد البنوية، وهو منهج يركّز على شفرات النص، واستقبله باحثنا عبد الملك مرتاض كاستراتيجية اقتبسها من جاك دريدا [Jaques Derrida] ورولان بارت [Roland Barthes] ¹ ذلك أنّه عمل به من منحى أقرب إلى التحليل، وهذا بالتّشريح ثم يعقبها بعملية التقويض، وهاته في حدّ ذاتها تسمّى «نظرية التقويض»، والتي استخدمها جاك دريدا [Jacques Derrida] ².

إنّ السامع لهذا المصطلح يساور ذهنه المعمار والبناء بعد الهدم، وهذا عند أهل العمارة، غير أنّ هذا المفهوم انتقل من المادّة الجامدة إلى المادّة النصّية.

إنّ التقويض عند باحثنا جهاز معرفي جديد مسخّر في قراءة النص، ما دام أنّ هذه النظرية تعالج النص كدوّالٍ مجزأة تؤسّس بنياناً جديداً مرتبطاً بالبناء المقوّض ³؛ معنى هذا أنّ المصطلح تقويض استعارة يستخدمها دريدا [Jacques Derrida] لصرح ومعمارية النص، فمشروعه التقويضي لا يرتبط بعملية الهدم والعدم بل بقراءة تقويضية إيجابية. ⁴

إنّه حسب عبد الملك مرتاض أنّ جاك دريدا [Jaques Derrida] يسعى إلى جعل الدال يُنتج معناه من ذاته، ويطلق عليه: "دال الدال"، ويمثل هذا التوجّه خروجاً عن بقايا ثنائية الشكل والمضمون لدى الفكر البنيويّ ليحلّ محله مفهوم الاختلاف المتمايز وحركة الدوّال .

¹ بشير تاويريت، رواج التفكيكية في التجربة النقدية المعاصرة، مجلة البحوث والدراسات، ، ت: جويلية 2007 م، ص 233.

² عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 87.

³ المرجع نفسه، ص 89.

⁴ حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنوية، ص 168.

إنّ هذا المفهوم الاصطلاحي سمح لباحثنا أن يقابله بترائنا، فдал الدال لـ جاك دريدا [Jacques Derrida] هو نفسه "معنى المعنى" لعبد القاهر الجرجاني¹.

إنّ دال الدال يعمل كصيغة مركبة عند جاك دريدا [Jacques Derrida] مادام أنّه يسعى إلى تقويض القراءة بطريقة مزدوجة ما بين ما يُصرّح به وما يخفيه من غير تصريح، فهذا نتاج ثنائية ضدية كـ: "العقل والعاطفة"، "العقل والجسد"، "الذات والآخر"²، فكلّ هذا اختلاف للوصول إلى غائب المعنى، ممّا جعل مرتاضاً يتبنّاه بالتركيب والبناء، فذلك موروث العرب بمصطلح البناء أو التّظنّيب وما يقابله بالمصطلح الأعجمي [Construction]؛ إذ تعامل بالبناء لا بالقطع بمصطلح [Déconstruction] حيث أنّ التركيب كان تفكيكاً ثم أعيد بناؤه³، فهنا نستخلص أنّ التفويضية في نظره إقامة بناء جديد على أنقاضه، ويكون مستوحى منه⁴.

إنّنا هنا ندرك أنّ عبد الملك مرتاض استعمل مصطلح التفكيك، وحتى التشريح الذي هو أقرب إليه ولكن بتحليل حسب مفهومه، ثم اعتمد التقويض كمصطلح، وعمل به تفكيكاً وتشريحاً في معالجة النص وذلك في قوله: "...فإنّ معالج النص يمكن أن يعتمد إلى تجزئته، وتشظيته، وذلك بتفكيك ألفاظه، وتبديد أفكاره قبل الإقبال على معالجة كلّ هذه العناصر والأجزاء: معالجة تجعل منه بنياناً جديداً، ومع ذلك يظلّ مرتبطاً بالبناء المقوّض، وهو تأسيس؛ ولكن على موجود قد وقع تقويضه"⁵.

¹ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 90.

² حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، ص 169.

³ المرجع نفسه، ص 175.

⁴ المرجع نفسه، ص 176.

⁵ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 89 - 90.

إنّه ووفق تحليلنا نعلم أنّ الباحث تعامل مع هذا المنهج بطريقة البنية [Structuration] ليفتح أبواب القراءات، فالتقويض يكون نتاج مجموع تفكيكات، حتّى يحمل النص على عمق النظر والإطالة كونه بنية متجانسة رغم التفكيك¹.

إنّ الباحثين في ميدان التفكيك يشيرون إلى أنّه يهدف إلى تبيان التناقض في قراءة النصوص²، ذلك أنّ جاك دريدا [Jacques Derrida] يبرز أوجه الاختلاف في النص الواحد، فحسبه أنّه ليست إساءة بل البحث عن المعنى الغائب³، ممّا جعل مرتاضاً يعمل بنظرية التأجيل لـ دريدا [Jacques Derrida]، والتي تعني أنّ القراءة مفتوحة إلى ما لا نهاية⁴.

إنّ مجموع الباحثين المتأصلين في العقيدة يجمعون على أنّ التفكيكية خطيرة، ذلك أنّها تتلاعب بالمعاني بعد القراءة والتقويض⁵، وهذا لتهدمه مرة أخرى معتمدين على قوله تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾

[النحل: 92]

غير أنّ عبد الملك مرتاض تعامل مع هذا المنهج بذكاء إذ عدّه مجموع طرائق كونه أخذ بإجراءاته القرائية، ومن أمثلة ما طبقه عن هذا المنهج: "بنية الخطاب الشعري: دراسة تشرّحية لقصيدة أشجان يمانية"⁶.

¹ حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، ص 171.

² المرجع نفسه، ص 170.

³ ينظر: عبد الجلال ماضي، التفكيكية وأفق قراءة النص القرآني، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، مج 1 / ع، ت: 2023 م، ص 10.

⁴ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 100.

⁵ ينظر: عبد الجلال ماضي، التفكيكية وأفق قراءة النص القرآني، ص 11.

⁶ حنان دثوقة، أثر الفلسفة التفكيكية في النقد العربي المعاصر، دار المعتر للنشر، ط 1، ت: 2022 م، ص 252 - 253.

الحقّ أنّ عبد الملك مرتاض قد أعمل اجتهاداته في قراءة النصوص، وهذا بأنّ أدخل هذه المناهج الحداثيّة، وجعلها تلين وفق البيئة العربيّة وقيمها.

2. آفاق مشروع عبد الملك مرتاض:

إنّ الباحث ممّا في فكر عبد الملك مرتاض يصل إلى أنّ مشروعه قد وصل إلى آفاق عالية خصوصاً بعد إدخاله الحداثة إلى الوطن العربي، نذكر منها ما يلي:

- المزاجية بين الحداثة والتّراث؛ إذ استثمر مخزونه التراثي بما ينسجم والروح الحداثيّة، حيث كان ينطلق من التّراث العربي القديم ليصبغه بالمناهج الغربيّة المعاصرة فينتج عن ذلك أصالة¹.
- التّحرّر من الانقياد الغربي في المناهج، وعدم الانحناء لها كليّة بحق الاختلاف.
- الشّمول القرائي [القراءة المستواتية]؛ إذ بنى قراءته للنصوص من بنية اللّغة، ومستويات الحيز والزّمن والإيقاع والتّفكيك بما يضمن له شموليّة القراءة في جميع زوايا النص².
- نقل رصيد الأدب الجزائري من المنهج التّاريخي الفنّي إلى مشروعه في التّشريح البنوي، وهذا بأدوات حداثيّة³.
- ترجمة المصطلح اللّساني والسيمياي؛ إذ أقرّ له بذلك تلميذه يوسف وغليسي، وذلك خدمة للنص العربي⁴.

¹ حنان دّوقّة أثر الفلسفة التّفكيكية في النقد العربي المعاصر، ص 251 - 253.

² حبيب بوزودة، تجربة الحداثة النقدية في الجزائر، عبد الملك مرتاض، مجلة الدراسات النّقافية واللّغوية والأدبية، برلين، ألمانيا، مج2 / ع 17، ت: 2019 م، ص 204 - 211.

³ محمّد ناصر، الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنيّة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، ت: 1985 م، ص 65.

⁴ فريد أمعشوشو، جهود عبد الملك في ترجمة المصطلح اللّساني والسيمياي، المنظمة العربيّة للترجمة، 22/6، ص 89.

- التّنظير للقراءة؛ إذ جعل المناهج قراءات يمكن تحليل النصوص بها متجاوزاً بذلك التّقد لغاية النص لا غير¹.
 - إحياء التراث الشعبي القديم كالأساطير، والخرافات، والأمثال، والألغاز².
 - التّأسيس لنظرية عربية وفق ثقافة حضارية معاصرة ومرجعية القدامى كالجاحظ في «العلامة»، والجرجاني في «السّمة»، والأصفهاني في «الحيز الأدبي»، وابن طباطبا في «السّرقات الأدبية» أو ما يسمّى التّناس³.
 - التّجسيد للمشروع السّيميائي في القراءة وجعله وسيلة لتحليل النصوص⁴.
- نَجْمُ القول أنّ عبد الملك مرتاض قد بلغ بمشروعه في تحليل النصوص وإحياء التراث وترجمة المصطلحات وتوليدها مبلغ الساعين لتأصيل نظرية عربية متطورة، ونلمس هذا من خلال منجزاته بين النظرية والتطبيق.

3. المنجز المرتاضي بين النظرية والتطبيق:

إنّ آفاق مشروع مرتاض قد امتدّ عاليًا من خلال منجزاته التي غيرت أفكار الباحثين في تحليل النصوص، ذلك أنّه تجاوز النقد ليدخل القراءة، ففي نظره أنّ المناهج الحداثيّة تقرأ النص، فذلك هو معنى الحداثة، فحسبه أنّ النقد تغيير في أثر المزاج، غير أنّ القراءة انفتاح على المعاني والدلالات،

¹ عبد النور إبراهيم، جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة: قراءة في كتاب نظرية القراءة، ع 2، ت: 2010 م، ص 40.

² حبيب مونس، فعل القراءة، النشأة والتحوّل، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 103.

³ دردار بشير، الكتابة النقدية عند عبد الملك مرتاض، مجلة دراسات معاصرة دورية، تيسميسيلت، الجزائر، ع 4، ت: جوان

2017 م، ص 91.

⁴ عبّو دورابح، الوعي المنهجي وإشكالية تطبيقه في الخطاب النقدي الجزائري عبد الملك مرتاض، ص 216.

آخذًا بنظرة رولان بارت [Roland Barthes] الذي يعتبر أنّ القراءة هي الأثر الأدبي¹، وأنّا من أُمَّة "إِقْرَأْ" وذلك في قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: 1]²

ووفق هذه الرؤية المرتاضية نعلم أنّ الباحث قد أخذ المناهج الغربية كنظريّات مستوردة لا ترقى إلى الكمال خاصّة أمام مملكة النص الأدبي، ذلك أنّ النص في ذاته يبتعد حتّى عن كاتبه حسب رأي مرتاض³.

يمكن القول أنّ باحثنا قرأ كلّ المناهج [النبوية، الأسلوبية، السيميائية، التفكيكية] على شكل نظريات لا غير، لكن لم يتبنّ منهجًا بالمعنى الدقيق ولكن أخذ من كلّ منهج إجراءات، وتعامل مع كلّ منها بشكل نظري، فلم يتخذ الواحد منها آلة جامدة ثابتة⁴، حيث يشير أحد الباحثين في قول مرتاض: «نحن لا نستقيم إلى أيّ منهج على وجه الإطلاق، فننّخذ له لنا صنمًا أو نطلّ له عبدًا...»⁵.

إذن هنا يتّضح لنا أنّ باحثنا لا يؤمن بالمنهج الواحد، ولا يوجد عنده منهج كامل، بل يُدخل النصّ في عنصر المرونة، والتوافق بين الأدوات في كلّ منهج، وهذا ما يسمّى بـ: «التركيب المنهجي» الذي عدّه مساراً عجيباً يعتمد إلى اصطناع أدوات مختلفة للتوفيق بين المناهج، إذ توجه الغربيون إلى هذا التركيب للتعمق في النصوص أكثر، حيث قال باحثنا في هذا: «... فلقد أمسى مثل هذا السعي ممارسة في بعض الأنشطة النقدية الغربية المعاصرة، ورُبّما أطلق عليه التركيب المنهجي»⁶.

¹ حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحول، مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 208.

² عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، ص 11.

³ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، ص 57.

⁴ المرجع السابق، ص 87.

⁵ عبدو دورابح، الوعي المنهجي وإشكالية تطبيقه في الخطاب النقدي الجزائري، عبد الملك مرتاض، ص 215.

⁶ عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 64.

هنا يتأكد لنا أنّ عبد الملك مرتاض قد تبوّى هذا النوع من المزاوجة بين المناهج، وذلك لقصور المنهج الواحد، فهذا صحيح، لكننا كباحثين يمكن القول أنّه إختار التركيب المنهجي ذلك أنّه منهج القدماء من حيث تركيب اللّغة، فألهمه حسّه اللغوي إلى استثمار هذا المصطلح وتعميمه في النّصوص كمنهج، وذلك في قول أبي موسى: «إنّ دراسة تمضي على منهج القدماء، ذلك المنهج الذي يقوم على تأمل التركيب وتحليله...»¹.

كلّ هذا التّأصيل بين الحداثة والتراث جعل مرتاضاً يدخل مرحلة تعدّد المنهج أو التّهجين بين المناهج²، فحسب قادة عقاق أنّ النظرة الأحادية في تحليل النص عند مرتاض أصبحت عاجزة الإجابة عن إشكالاته³.

إنّ المراحل التي تخطّاها مرتاض في دراسة النصوص جعلته يصل إلى هاته المرحلة وفقاً لمبدأ الانتشار في النص، وذلك بعد أن يقوم بقراءات استطلاعية وجمع كل مطالبه فهذا ما أسماه حبيب مونسي ب: جمعانيّة القراءة والتركيب⁴.

إنّنا نلمس التّوليف المنهجي من خلال تطبيقه في جملة من أعماله نذكر منها:

- ألف ليلة وليلة (تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمّال بغداد) 1989، إذ جمع بين السيماء والتفكيكية.

- تحليل الخطاب السّردي (معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق) 1995.

¹ محمّد رجب البيومي، دلالات التركيب، مجلة علامات، م 4 / ج 5، مارس 1995 م، ص 188.

² متلف آسية، المناهج النقدية بين التهجين والتّهجين: قراءة في آراء عبد الملك مرتاض، ص 268.

³ قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي دار الأملية للنشر، قسنطينة، ص 94.

⁴ حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحول مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، ص 107.

- ألف - ياء (تحليل سيميائي تفكيكي لقصيدة أين ليلاي لمحمد العيد آل خليفة 1992¹).

إنّ الملاحظ في هاته الأعمال يجد أنّ عبد الملك مرتاض جمع بين السّيماء والتفكيكية، ذلك أنّ السّيماء هي مشروع قراءة نصوص بحادثة، والتّفكيك إجراء للتحليل؛ أي يحلّل تناقضات النصّ الواحد ليصل إلى سمات دلالية لا متناهية، فهذه عند مرتاض هي: «القراءة الاحترافية»²، وحسب رأينا كذلك أنّه كرّر التفكيكية السّيميائية ليُخْرِجَ من قلقه المنهجي ويبيّن صرحاً للقراءات لا لمنهج النقد.

نستخلص في آخر الفصل التّطبيقي أنّ الباحث عبد الملك مرتاض وظّف المناهج كإجراءات، تدخل في عمق النص لتتغلغل فيه، والرّاجح عنده أنّ المنهج الواحد غير كافٍ لقراءة النص، فالتركيب عنده كان أولى سبيلاً في القراءة، وأنّ القراءة المرتاضية تجاوزت النقد لتدخل القراءة الاحترافية، فبرى جلّ أعماله إلّا وزاوج السّيماء مع كلّ منهج في تطبيقه، فهذا يعزّز آفاق مشروعه البعيد المدى بالنّظر على أنّ القراءة حادثة كانت، وتكوّنُ حادثة الحادثة في المستقبل لمن يحيي الرّؤى الإسلاميّة في المنهج.

¹ متلف آسية، المناهج النقدية المعاصرة بين التدجين والتهجين: قراءة في آراء عبد الملك مرتاض النقدية، ص 268.

² عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، ص 53.

الخاتمة

وفي مسار دراستنا التي كانت تحت عنوان: "عبد الملك مرتاض والمناهج النقدية - دراسة وصفية تحليلية" يمكن القول أنّ مرتاضاً قد:

- 1- أدخل الجزائر إلى عالم الانفتاح والحداثة في الدراسات الأدبية.
- 2- استطاع الحفاظ على التراث القومي وإدماجه في الحداثة ليمنح الأصالة المفهوم الخاص بها.
- 3- أحيى الموروث الشعبي للوطن كالأمثال والألغاز القديمة.
- 4- ترجم المصطلحات الغربية وقابلها بمصطلحات عربية ليطبّقها في تحليل النصوص.
- 5- عمل على تأسيس نظرية عربية خالصة في النقد.
- 6- استقطب المناهج الغربية إلى الوطن العربي وعمل بها كإجراءات.
- 7- تجاوز المنهج الواحد ليتخذ المنهج المركب كمقاربة في تحليل النصوص.
- 8- جعل الأسلوبية منهجه الدائم فلم يتخلّ عنها يوماً.
- 9- بدأ تحليل النصوص بالبنوية، كونها تمثل نصية النص، فهي مشروعه الذي لُقّب بـ «التّشريح البنوي».

- 10- ركّز على المنهج التّفكيكي والسّيميائي وزاوج السيماء مع كلّ منهج.
- 11- جعل المنهج في اختياره يحتكم الى مؤسّسة النص، فما نصل إليه أنّ المناهج قراءات.
- 12- زاوج بين التراث والحداثة بشكل ذكيّ.

إذن إنّ مجرّد التّفكير في حضوره النقدي والمنهجي يصل بنا إلى أنّه كان يميل الى جهة القراءات لا منطق المنهج والنّقد بشكل آليّ بدليل تطبيق المنهج المركّب، وأنّه كان ينظر بعين حداثيّة ولكن قلبه تراثيّ العقيدة، فالقرآن عنده هو المنهج الواحد الذي لا يُعَيّرُ، وما عدا ذلك من نصوص أخرى يمكن للإنسان أن يضع فيها ماشاء وفق لغة النص.

وعليه فإنّنا لو ظللنا نحلّل دراسات لعبد الملك مرتاض في منجزاته وآفاق مشروعه فلن نستوفيه حقّه لأنّه أيقونة في فكره، ويحمل مشروعا رائداً لمن يواصل فيه.

قائمة المصادر

والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر والمراجع:

1. أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، مقاييس اللغة، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ع5 .
2. أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق محب الدين أبي سعد عمر بن غرامة العمري، ت: 1417م/1997م، ط1، م: 47.
3. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري، لسان العرب دار صادر بيروت، ط 6، 383/2.
4. أبو عبد الله عيسى بن محمد بن إبراهيم الشامي، ديوان: رثاء الأندلس لابي البقاء الرندي.
5. إبراهيم فضل الله، منهج جديد في النقد العربي: السكون والحركة، منهج نقدي عربي جديد، مجلة المجمع للغة العربية، 2022م، ع1/ 18.
6. إبراهيم محمد خليل، مناهج النقد الادبي من المحاكاة الى التفكيك دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 1: 2003م -1424هـ / ط 4، ت: 2011م-1432هـ.
7. إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الثقافة: بيروت، لبنان، ط 4، 1983.
8. أحمد أمين، النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية للنشر، ط4، ت: 1972.
9. أحمد أمين، النقد الأدبي، الإسكندرية، مصر، ط1: 2006م.
10. أسامة لنصاري، فاطمة دراس، تلقي المناهج الغربية في النقد الجزائري المنهج المركب عند عبد الملك مرتاض أمودجا، مجلة آفاق علمية، م: 13/ ع: 03: 2021.
11. أمالي ابن بشران عبد الملك بن محمد البغدادي (المتوفي: 430هـ) ضبط نصّه: أبو عبد الرحمان عادل بن يوسف العزاري، الناشر: دار الوطن، الرياض ط الأولى: 1418هـ/1997م، برقم 171.
12. آمال شرفاوي، إبراهيم عبد النور، خطاب التشاكل والتباين عند عبد الملك مرتاض

13. أميرة عمرة، أحمد عراب، تعدّد المنهج النقدي في كتابات عبد الملك مرتاض، مجلة جسور المعرفة، ع: 5، ديسمبر 2021م، م: 7.
14. إنزيك اندرسون إمبرت، مناهج النقد الادبي، ت: الطاهر أحمد مكّي، جامعة القاهرة، مصر، ط خاصة، 1421هـ-2000.
15. بسّام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد المعاصر، دار الوفاء للطباعة والنّشر، والإسكندريّة، مصر.
16. بشير تاويريرت، رواج التفكيكيّة في التّجربة النقدية المعاصرة، مجلّة البحوث والدراسات، ت: جويلية 2007 م.
17. جابر عصفور، آفاق الناقد: وجوه نقدية معاصرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1، ت: 2000م.
18. جابر عصفور، قراءة التراث النقدي، مؤسسة عيبال للدراسات والنشر، ط 1، ت: 1991.
19. جبّور عبد النور، المعجم الادبي، دار الملايين، بيروت لبنان، ط 2: 1984م.
20. جورج يول ترجمة: قصي العتّاب، كتاب التداوليّة [Pragmatics]، الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، الرّباط، ط الأولى، مطابع الدّار للعلوم بيروت، لبنان، 1431هـ-2010م.
21. الحاج قديدح، اللّسانيّات في خدمة النقد الأدبي، أعمال الملتقى الوطني، مارس 2010، ج 1.
22. حاجي عبد الرزاق، النقد الجزائري من انغلاق السياق إلى انطلاقية التّسق، عبد الملك مرتاض نموذجاً، مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية، م 4/ع 2، جوان: 2021.
23. حبيب بوزوادة، تجربة الحداثة النقدية في الجزائر عند عبد الملك مرتاض أنموذجاً، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية واقعية المركز الديمقراطي العربي برلين المانيا ع 7 ماي 2019.
24. حبيب مونسي، فعل القراءة، النشأة والتحوّل مقارنة تطبيقية في قراءة القراءة عبر أعمال عبد الملك مرتاض، منشورات دار الغرب، ط 1، 2001/2002م.
25. حسني مصطفى، كبريت علي، اللّسانيات وأثرها على المقاربات النّصيّة، مجلّة إشكالات في اللّغة والأدب، م: 10، ع: 3، 2021م.

26. حسين الحسيني، عبد الملك مرتاض عن التقليد والإبداع في الأدب الحديث، مجلة الأفلام، ت: حزيران 1986.
27. حمزة بسو، جدل التراث والحداثة في الفكر النقدي لدى عبد الملك مرتاض، مجلة الموروث، ع 14 / 25.
28. حنان دثوقة، أثر الفلسفة التفكيكية في النقد العربي المعاصر، دار المعتر للنشر، ط 1، ت: 2022 م.
29. حياة لصحف، مصطلحات عربية في نقد ما بعد البنيوية، منشورات المجلس، تلمسان، 2013 م.
30. دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، ت: طلال وهبة، المنظمة العربية للترجمة، ط الأولى، بيروت لبنان، أكتوبر 2008 م.
31. دردار بشير، الكتابة النقدية عند عبد الملك مرتاض، مجلة دراسات معاصرة دورية، تيسمسيلت، الجزائر، ع 4، ت: جوان 2017 م.
32. رشيد صنقلي: تداولية الخطاب الحجاجي، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، مجلة التعليم، م: 5، ع: 13، مارس 2018 م.
33. ريحة بران، تحليلات المحكي العجائي في رواية وادي الظلام لعبد الملك مرتاض، 2000 م.
34. رميسة جنات عبيدة، تحولات الخطاب النقدي عند رولان بارت وعبد الملك مرتاض، مجلة الآداب واللغات، ديسمبر 2023، العدد 2.
35. زين الدين زاخ، جدلية العلاقة بين المنهج والموضوع، ديسمبر 2021، العدد 2، 78/6.
36. سفيان بوساحة، تاريخ نشأة الدرس اللساني في أوروبا، مجلة الرّواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م 11/ع: 2، 2025.
37. سمية خريش، الثراء الأسلوبي في رواية حيزية لعبد الملك مرتاض، مجلة اللغة الوظيفية، 5/2.
38. سمية فالح، التفكيكية بين التنظير والممارسة، جامعة عباس لعزور، خنشلة.

39. سمير حجازي قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر، الآفاق العربية، القاهرة. ط 1
1421هـ/2001م.
40. شكري عزيز ماضي، مناهج النقد الأدبي، مقدمات، نصوص، تطبيقات دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط الأولى 2020م.
41. صابر الحباشة، التداولية من أوستين إلى غوفمان ل: فيلين بلانشيه، دار الحوار النشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط 2007، 1، م.
42. صابر الحباشة، التداولية والحجاج، مداخل ونصوص، صفحات للدراسات النشر، دمشق، سوريا، 2008.
43. صلاح فضل مناهج النقد المعاصر، مبريت للنشر والمعلومات القاهرة، مصر، ط الأولى 2002، م.
44. صليحة بردي، التجريب البنيوي في الخطاب النقدي عند «عبد الملك مرتاض»، جامعة الشلف.
45. طارق بوحالة، مجلّة القدس العربي، عبد الملك مرتاض، رجل العربيّة الأولى، ت: 11
نوفمبر 2023م، العدد: 11164.
46. طارق ثابت، عبد الملك مرتاض وجهوده في التنظير لتحليل الخطاب الأدبي المنهج السيميائي نموذجاً، مجلة الأثر.
47. طاعة بن قرماز، جماليات الأسلوبية في التفكير النقدي عند عبد الملك مرتاض، كلية الآداب واللغات، جامعة حسينة بن بوعلي، الشلف.
48. طالب خليف السلطاني النقد الادبي جامعة بابل كلية التربية الإسلامية العراق، دار الرضوان، ط الأولى 2014م / 1435هـ.
49. عبد الملك مرتاض، نظرية النقد، دار هومة، الجزائر، تاريخ الطبع: 2005م .
50. عبد الملك مرتاض، النص الأدبي من أين؟ وإلى أين؟ ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1981
51. عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيميائيات، مجلّة "المجتمع الجزائري في اللغة العربية"، م 18 / ع 18، ت: 2005 م.

52. عبد الملك مرتاض، القراءة وقراءة القراءة خوض في إشكالية المفهوم، مجلة علامات، ج 5/4، ت: 1415 هـ - مارس 1995 م.
53. عبد الملك مرتاض، عناصر التراث الشعبي في اللاز، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ت: 1987 م.
54. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، ديسمبر 1998.
55. عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة البنيوية، علامات في النقد، النادي الأدبي الثقافي بجدّة، 7/29.
56. عبد الملك مرتاض، مدخل في قراءة البنيوية، مجلة علامات، م 8، ج 29، ت: سبتمبر 1998 م.
57. عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، تأسيسات النظرية العامة للقراءة الأدبية، دار القدس للنشر، ماي 2021.
58. عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة، دار القدس العربي للنشر، وهران، ماي 2022 م.
59. عبد الملك مرتاض، أثر الانزياحات في تنشيط اللغة السردية، الاستعارة واللغة والإبداع، مجلة الكلم، ع: 2.
60. عبد الملك مرتاض، إشكالية المصطلح في اللسانيات والسيمياءات.
61. عائشة لطروش، قراءة في أشكال السرد ومستوياته في ضوء تصور "عبد الملك مرتاض" من خلال كتابه "في نظرية الرواية".
62. عبد الرحمان خلدون، النص الأدبي على ضوء المناهج السياقية والنصية، مجلّة الزهراء، أبحاث في اللغة والأدب، عدد 5 ديسمبر 2021.
63. عبد الرحمن التمار، نقد النقد بين التصور المنهجي والإنجاز النصي، دار كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط 1، ت: 1438 هـ - 2017 م.
64. عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، الناشر: وكالة المطبوعات شارع فهد السالم الكويت، ط 3، 1977 م.

65. عبد السلام المسدي الأدب وخطاب النقد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط 1
2004.
66. عبد السلام مرسللي، جدلية التراث في الخطاب النقدي الجزائري، قراءة في الموقف النقدي لـ
"عبد الملك مرتاض"، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة.
67. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدثّة من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة، الكويت، أبريل، ت:
1998.
68. عبد القادر رحيم، البنيويّة مفهوما وأهمّ روافدها، قسم الآداب واللّغة العربية، جامعة محمد
خير، بسكرة، الجزائر ع: 14 و 15، ت: جانفي-جوان 2014م.
69. عبد الله إبراهيم، سعيد الغانمي، عوّاد علي، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة،
المركز الثقافي العربي للنشر، ط 2، 1996م.
70. عبد الله قيدوح، الاتجاهات النقدية المعاصرة في الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر، تيزي وزو،
ط 1، ت: 2007م.
71. عبد النور إبراهيم، جهود عبد الملك مرتاض في تنظير القراءة: قراءة في كتاب نظرية القراءة، ع
2، ت: 2010 م
72. عبد دو رايح، الوعي المنهجي وإشكالية تطبيقه في الخطاب النقدي الجزائري عند عبد الملك
مرتاض، مجلة اللغة العربية، ع: 66، جوان 2024م، م: 26
73. عبد الجلال ماضي، التفكيكية وأفق قراءة النص القرآني، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية،
مج 1 / ع، ت: 2023 م.
74. عائشة لطروش، قراءة في أشكال السرد ومستوياته في ضوء تصور "عبد الملك مرتاض" من
خلال كتابه "في نظرية الرواية"، مجلة المحترف للعلوم الرياضية والعلوم الإنسانية والاجتماعية،
ت: 2025م، ع 3/ م 12.
75. علي خفيف، إشكالية المنهج النقدي عند عبد الملك مرتاض، مجلّة المعيار العدد: 13.

76. علي خريزي، سرديات الخطاب النقدي في الشعرية العربية، دار غيداء للنشر، عمان، الأردن، 2015 م.
77. عثمان موافي مناهج النقد الأدبي والدراسات الأدبية، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مصر، 2003، ج1.
78. العرابي لخضر، الأصول اللغوية للمناهج النقدية المعاصرة، مجلة الآداب واللغات، ع: 9، ديسمبر 2005.
79. عمّار زعموش، التّقد الأدبي المعاصر في الجزائر قضاياه واتجاهاته، مطبوعات جامعة منتوري قسنطينة، 2000 / 2001 م.
80. فاتح علاّف، في تحليل الخطاب الشعري، دار التّنوير، الجزائر، ط 2 / 2008.
81. فاتن عبد الجبار، الخطاب النقدي في مرايا القراءة، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1، ت: 2017 م.
82. فاضل حاج علي، محمد بشير بويجرة، سيمائية الشخصيات في رواية «عين التينة» لعبد الملك مرتاض، مج 18 / ع 1، ت: 2022 م.
83. فريد أمعضشو، جهود عبد الملك في ترجمة المصطلح اللساني والسيميائي، المنظمة العربية للترجمة، 22/6.
84. فيليب بلانشية، ترجمة: صابر الحباشة، التّداوليّة من أوستين إلى غوفمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط الأولى، 2007 م.
85. قادة عقاق، الخطاب السيميائي في النقد المغاربي دار الأملعي للنشر، قسنطينة ، ط 1، ت: 2014.
86. قادة عقاق، هاجس التأصيل النقدي لدى عبد الملك مرتاض بين وعي التراث وطموح الحداثة التعليمية، مخبر تحديد البحث في تعليمية اللغة العربية، 1 / 14، جوان 2024.
87. قّواس نبيل، البنيوية من التّحذير الفلسفي إلى التّنوير النقدي، مجلة علوم اللغة العربيّة وآدابها، م 1:1 / ع: 1، ت: 2021/03/15.

88. كبريت علي وحسني مصطفى، المنهج النقدي بين -الأصول والآفاق -مجلة عامية دولية، جامعة تسمسليت، الجزائر، المجلد 5 العدد 02، 2021.
89. كمال أونيس، التداولية وامتدادها الغربي العربي، مجلة الباحث، المدرسة العليا للأساتذة للشيخ مبارك ميلي، بوزريعة، م: 15، ع: 1، 2023م.
90. كمال بن عمر، الأسلوبية والنقد الأدبي، حدود التداخل والتمايز، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة الشهيد حمّة لخضر الوادي، الجزائر، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، م: 12، ع 2، ت: 15 9/ / 2020 م.
91. مباركية عيسى، الخطاب النقدي السيميائي لدى عبد الملك مرتاض، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، مج 2/ ع 1، ت: جانفي 2021 م.
92. متلف آسية، المناهج النقدية المعاصرة بين التدجين والتهجين: قراءة في آراء عبد الملك مرتاض النقدية، مجلة اللغة الوظيفية، ع2، ت: 2015م.
93. مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزي آبادي، القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة، 1429هـ 2008م/.
94. محمد اسماعيل إبراهيم، معجم الألفاظ والاعلام القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1418هـ، 1998م.
95. محمد دحروج، مناهج النقد الكلاسيكية، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان الأردن.
96. محمد الدغمومي، نقد النقد وتنظير النقد العربي المعاصر، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، المغرب، ط1، ت: 1420هـ - 1999م.
97. محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، دار النشر الكويت، الإصدار ما بين: 1965م / 1385م - 2001م / 1422هـ، طبعة وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
98. محمد حاج هني، الإسهامات الموسوعية للأستاذ عبد الملك مرتاض، جسور المعرفة، 3 / 11، ت: 2025م.

99. محمد دحروج مناهج النقد الكلاسيكية، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان، الأردن .
100. سيف الإسلام بوفلاحة تأملات في أعمال عبد الملك مرتاض، دار الجنان للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2018م.
101. محمد سيف الإسلام بوفلاحة، السرد والسردانية: قراءة في جهود عبد الملك مرتاض، تحليل الخطاب السردى، مجلة إحالات، ع1/ 5، ت: جوان 2023 م.
102. محمد طروس، النظرية الحجاجية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، المطبعة: النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
103. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار العودة بيروت، 1973.
104. محمد مصايف، دراسات في النقد والادب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1981.
101. محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الأدب واللغة، النشر مؤسسة هنداوي 2017.
102. محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث: اتجاهاته وخصائصه الفنية، دار الغرب الإسلامي بيروت ط1، ت: 1985 م .
103. مداني أحمد، المصطلح السردى بين المنظور واختيارات "جيرار جينيت"، 2021، العدد2.
104. مليكة بوجفجوف، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر، التفكيكية، م: 16، ت: 29 جوان 2021م.
105. منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان الأردن، ط 1، 1997.
106. نانية لطروش السيميائية -المفهوم والنظرية-، مجلة أدبيات، م: 1، ع: 1، ديسمبر 2019، جامعة عبد الحميد ابن باديس مستغانم، الجزائر.
107. نجلاء نجاحي وفائزة زيتوني، النظرية النقدية الجديدة في النقد الغربي قراءة في مشروع: ستانلي هايمان [Stanley Edgar Hyman] مجلة مقاليد: مج: 7، ع: 21442هـ-جانفي 2021م.
108. نصيرة شيادي، العلامة عبد الملك مرتاض لغوياً، 17/2، ت: 2025م.

109. وليد قصاب، مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، آفاق معرفة متجددة، القدس: دار الفكر، سوريا، ط الثانية، 1430 هـ - 2009م.
110. يحي خير الله، سترأوس [straus] والتحليل البنيوي للأسطورة، مجلة الأناسة وعلوم المجتمع، جويلية 2019، العدد 5.
111. يوسف وغلبي، مناهج النقد الأدبي، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1428 هـ - 2007م.
112. يوسف وغلبي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، دار البشائر للنشر والاتصال 2002م.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

إهداء.....	
شكر وعرفان.....	
مقدمة.....	
المدخل التمهيدي..... أ	
1. عبد الملك مرتاض ناقدًا..... 4	
1.1 ولادته ونشأته العلمية :..... 4	
أ) ولادته :..... 4	
ب) نشأته العلمية :..... 4	
1. 2 مؤلفاته وآثاره العلمية ووفاته :..... 7	
أ) مؤلفاته :..... 7	
ب) آثاره العلمية :..... 10	
ج) وفاته :..... 10	
2. المناهج النقدية :..... 11	
1.2 تعريف المنهج :..... 11	
أ. المنهج لغة :..... 11	
ب. المنهج اصطلاحًا :..... 12	
2.2 تعريف النّقد :..... 13	
أ) النقد لغة :..... 13	
ب) اصطلاحًا :..... 14	

17	3.2 مفهوم المناهج النقدية وأنواعها:
17	(1) مفهوم المناهج النقدية:
20	(2) أنواع المناهج النقدية:
20	أ. المناهج السياقية (الخارجية):
20	أولاً: المنهج التاريخي:
21	ثانياً: المنهج الاجتماعي:
22	ثالثاً: المنهج النفسي:
25	ب. المناهج النصية (الداخلية):
25	أولاً المنهج البنيوي [Structuralism]:
26	ثانياً المنهج الأسلوبي:
28	ثالثاً المنهج السيميائي:
29	رابعاً المنهج التداولي:
30	خامساً المنهج الحجاجي:
31	سادساً المنهج التفكيكية:
33	سابعاً المنهج التكاملي:

الفصل الأول: الحضور النقدي والمنهجي في القراءة المرتاضية.

35	1- الحس النقدي والمنهجي في آثار عبد الملك مرتاض:
37	1-1 المنجزات النقدية لعبد الملك مرتاض:
43	1-2 المنهج والنقد عند عبد الملك مرتاض:
50	2- التراث والحداثة في فكر عبد الملك مرتاض

3-	موقف عبد الملك مرتاض من المناهج الغربية:	56
4-	إسهامات عبد الملك مرتاض المنهجية والنقدية:	58
	أ. الإسهامات المنهجية:	59
	ب. الإسهامات النقدية:	61

الفصل الثاني: المناهج النقدية في أعمال عبد الملك مرتاض

	تمهيد:	66
	1. المناهج:	66
	أولاً: المنهج البنوي [Structuralism]:	66
	ثانياً المنهج الأسلوبى:	71
	ثالثاً: المنهج السيميائي [La Sémiotique] : Erreur ! Signet non défini. ...	
	رابعاً المنهج التفكيكي [La déconstruction] : Erreur ! Signet non défini.	
	2. آفاق مشروع عبد الملك مرتاض:	79
	3. المنجز المرتاضى بين النظرية والتطبيق:	80
	الخاتمة	84
	قائمة المصادر والمراجع	86
	فهرس الموضوعات	97
	الملخص	101

الملخص

يُعدُّ عبدُ الملك مرتاض أيقونةَ النقد الأدبي، أدخل المناهج الغربية للبيئة العربية، مما جعله ينظر بعين حدائثة، ويرجع إلى التّراث، ليزاوج بينهما، فيحدث بذلك مفهوم الأصالة، إذ أنه كان يتعامل مع المناهج بإجراءات نظريّة لا غير؛ إذ طبق المنهج المركب خاصّة التفكيكي مع السيميائي في تحليل النصوص لِيَتحوّل من النّقد إلى القراءة، لِيُثيرَ حضوراً نقدياً ومنهجياً بأفاهه.

الكلمات المفتاحية: عبد الملك مرتاض، المنهج، النّقد، التّراث، الحدائثة.

Abstract:

Abdelmalek Mortad is considered an icon of literary criticism, as he introduced Western critical approaches into the Arab environment, which led him to adopt a modern perspective while, at the same time, returning to heritage and combining the two, thereby establishing the concept of authenticity. He dealt with these approaches through various theoretical procedures and applied the combined approach, particularly deconstructionism alongside semiotics, in the analysis of texts, thus moving from criticism to reading and creating a critical and methodological presence with broad horizons.

Keywords : Abdelmalek Mortad, methodology, criticism, heritage, modernity.